الطريق إلى البر

فى ضوء قول الله تعالى

﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبون ﴾

دراسة موضوعية تحليلية

إعـــداد

عائشة السيد محمد السيد حسن

المدرس بقسم التفسير وعلوم القرآن

كلية الدراسات الإسلامية والعربية

فرع البنات بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـة

بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم، والصلاة والسلام على أشرف الخلق وسيد المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ورضي الله عن التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعـــد ....

فهذه خطوة في طريق البر، أمضى بها في ضوء آية قرآنية كريمة، تضمنت بيان الطريق إلى البر، ألا وهي قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ **لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبون...** ﴾ (١).

هذه الآية القرآنية الكريمة التي وضعت قاعدة لمن يريد أن يعبر طريق البر، تنص هذه القاعدة على أن تكون وسيلة عبور هذا الطريق: الإنفاق من أحب الأموال إلى المنفق، حيث إن هذه الوسيلة ؛ هي التي بها يجتاز الإنسان الشح، الذي يحول دون الوصول إلى البر.

وبهذه القاعدة التي وضعتها هذه الآية القرآنية الكريمة، تضمنت الآية مع إيجازها، معان عظيمة تدور حول تزكية النفس من الشح الذي يدفع بعض الناس إلى الإنفاق . حين ينفق . مما تعافه نفسه وتزهد فيه. ولا يخفى ما في ذلك من إيذاء نفسي للمنفَق عليه. ولخطورة أثر هذا الأمر نهي الله تعالى عنه، فقال

(١) سورة آل عمران: جزء آية: ٩٢.

تعالى بعد الأمر بالإنفاق من الطيب: ﴿... **وَلا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ...** ﴾ (١) ومع النهي عن أن يقصد الإنسان ما تعافه نفسه وتزهد فيه، فينفقه، تشير الآية إلى أثر ذلك في نفس المنفَق عليه، حيث إن الإنسان لا يرضى أن يأخذ هذا الشيء المزهود فيه، أو الردئ ؛ إلا متكرهًا.

ولتقرير هذا المعنى في نفس المنفِق، ولتأكيد أهميته، وُضعت القاعدة التي تنص على أن المنفِق لا يصل بإنفاقه إلى البر، حتى يكون إنفاقه من أحب أمواله إليه، في هذه الآية الكريمة: ﴿ **لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبون...**﴾(٢).

إنها منزلة عظيمة من الجود والبذل، لا يصل إليها الإنسان، إلا عن مجاهدة. ولذا رَغَّب الحق سبحانه في الوصول إليها، حيث جعل الوصول إليها، موصلاً للبر. ومع هذا الترغيب، راعى الحق سبحانه الفطرة البشرية، حين جعل الوصول إلى البر مرتبطًا بالإنفاق (مما) يحب الإنسان، وليس (ما) يحب !

معان عظيمة اشتملت عليها هذه الآية الكريمة ؛ التي استوقفتني، فكانت أساسًا لفكرة موضوع هذا البحث، ومن هنا جعلت عنوان البحث:

الطريق إلى البر في ضوء قول الله تعالى: ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبون ﴾ دراسة موضوعية تحليلية.

وكانت خطة الكتابة في هذا الموضوع على النحو التالي:

تقسيم هذا البحث إلى مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة.

---

(١) سورة البقرة: جزء آية: ٢٦٧.

(٢) سورة آل عمران: جزء آية: ٩٢.

. المقدمـة:

وفيها سبب اختيار الموضوع، وخطة البحث، والمنهج المتبع في هذا البحث.

. التمهيـد:

ويتضمن التعريف بالآية الكريمة موضوع البحث، مع شرحًا إجماليًا للمعنى الذي تضمنته الآية.

. المبحث الأول: معنى البر.

وفيه بيان معنى البر في اللغة، وفي الاصطلاح.

. المبحث الثاني: خصال البر (حقيقة البر).

. المبحث الثالث: تحقيق خصال البر.

ـ المبحث الرابع: العلاقة بين الإنفاق من أحب الأموال إلى المنفِق، وسائر خصال البر.

. الخاتمة: وتشتمل على:

. أهم نتائج وتوصيات البحث.

كما تشتمل على:

. فهرس للمراجع والمصادر التي تم الاعتماد عليها في كتابة هذا البحث.

. فهرس لموضوعات البحث.

. منهج البحث:

أما عن المنهج المتبع في هذا البحث، فيعتمد على الاستقراء والتتبع، مع الاستنباط والتحليل، لكل ما يتعلق بموضوع البحث، من الآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة، وأقوال لبعض العلماء.

وتتلخص أهم سمات منهج البحث في النقاط التالية:

١ ـ جمع الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة المتعلقة بموضوع البحث.

٢ ـ الاعتماد على ما تيسر لي الرجوع إليه من المراجع المتعلقة بموضوع البحث.

٣ . توثيق النقول، بنسبتها إلى مصادرها، مع الإشارة إلى التصرف فيها، إن تم التصرف في النص المنقول.

٤ . الاكتفاء بذكر بيانات المرجع الخاصة بجهة طبعه أو نشره وتاريخ الطبعة، عند ذكره للمرة الأولى فقط.

٥ . عزو الآيات القرآنية الكريمة المستشهد بها في البحث إلى سورها، بإثبات رقم الآية، واسم السورة بالهامش في نهاية الصفحة.

٦ ـ عند الاستشهاد بجزء من الآية يوضع عدة نقط (...) قبل الجزء المستشهد به وبعده، أو قبله فقط، أو بعده فقط. حسب موضع الجزء المستشهد به من الآية. وذلك للإشارة إلى أن هذا جزء آية وليس آية كاملة. والأمر كذلك عند الاستشهاد بالأحاديث النبوية الشريفة.

٧ . تخريج الأحاديث النبوية الشريفة.

٨ . بيان معاني الكلمات التي تحتاج إلى توضيح بالهامش.

٩ . وضع هامش كل صفحة أسفل نفس الصفحة لتيسير الرجوع إلى الهامش.

١٠ ـ تذييل البحث بخاتمة، تشتمل على أهم نتائج البحث، كما تشتمل على فهرس للمراجع والمصادر التي تم الاعتماد عليها في البحث، وفهرس لموضوعات البحث، وذلك لتيسير الرجوع إلى ما اشتمل عليه البحث.

وبعد .....

أسأل الله تعالى أن يثبت خطاي على طريق البر، وأن يوفقني دائمًا للسير فيه، حتى أصل لمنتهاه. كما أسأله سبحانه أن يتقبل مني هذا العمل، وأن ينفع به ويغفر لي ما به من خطأ وقصور. إنه سبحانه نعم المولى ونعم النصير، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عائشة السيد محمد

. تمهيد :

قال تعالى: ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾.

. التعريف بالآية:

الآية الكريمة، هي الآية رقم (٩٢) من سورة آل عمران. وسورة آل عمران من السور المدنية [١].

. المعنى الإجمالي للآية:

الآية الكريمة توضح طريق الوصول إلى البر، ولكن، مع التأكيد على أن الوصول إلى البر، لا يتم ولا يحصل، حتى يبلغ الإنسان مرحلة الإنفاق مما يحب.

وبذلك تبين الآية الكريمة ؛ أن الوصول إلى البر أمرًا ممكنًا، إن حقق الإنسان الغاية الموصلة إليه.

وهذا ما أفاده التعبير القرآني بـ ﴿ لَنْ ﴾ في قوله تعالى ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾. حيث إن هذا الحرف (لن) الذي يفيد النفي، إذا دخل

(١) البرهان في علوم القرآن. تأليف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ١/ ١٩٤. الناشر: دار إحياء الكتب العربية. عيسى البابي الحلبي وشركائه. الطبعة الأولى ١٣٧٦هـ ١٩٥٧م، الإتقان في علوم القرآن. تأليف: عبد الرحمن ابن أبي بكر جلال الدين السيوطي تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم ١/٤١. الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب. الطبعة ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م.

على المضارع ؛ نفي معناه في الزمن المستقبل نفيًا مؤقتًا، يقصر أو يطول، من غير أن يدوم ويستمر [١].

وبهذا الأسلوب أفادت الآية الكريمة، أن نفي الوصول إلى البر ليس على الدوام، ولكنه مؤقت بغاية إن حقق الإنسان هذه الغاية نال البر. وفي هذا إثارة للهمم، وترغيب للنفوس في الحرص على تحقيق الغاية الموصلة إلى البر.

وقوله تعالى ﴿ **تَنَالُوا** ﴾: من النَّيْل، بمعنى إصابة الشيء، وإدراكه، ووصوله.

يُقال: نَال يَنالُ نَيْلاً: إذا أصاب الشيء وأدركه. ويُقال: نَالَني من فلان معروف يَنَالُني، أي وصل إليَّ. ومنه قوله تعالى: ﴿ **لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ...**﴾ [٢]. أي: لن يصل إليه لحومها ولا دماؤها، وإنما يصل إليه التقوى [٣].

فمعنى الآية: ﴿ **لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ** ﴾: لن

تدركوا أيها المؤمنون، البر، ولن تصلوا إليه وتبلغوه، حتى تنفقوا مما تحبون[٤].

---

(١) النحو الوافي تأليف: عباس حسن ٤/ ٢٩٩. الناشر: دار المعارف. الطبعة الخامسة عشرة.

(٢) سورة الحج: جزء آية: ٣٧.

(٣) تهذيب اللغة. تأليف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي أبو منصور. تحقيق: محمد عوض مرعب ١٥/ ٢٦٧. الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت. الطبعة الأولى ٢٠٠١ م، لسان العرب. تأليف: محمد ابن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي ٦٨٥/١١. الناشر: دار صادر بيروت. الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ.

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن. تأليف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبو جعفر الطبري. تحقيق: أحمد محمد شاكر ٥٨٧/٦ الناشر: مؤسسة الرسالة= = الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م، فتح القدير. تأليف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله

وبذلك تؤكد الآية الكريمة على أن الوصول إلى البر مرتبط بالإنفاق مما يحب الإنسان.

ولكن ؛ ربما يخطر بذهن القارئ أو المستمع للآية الكريمة سؤال، وهو:

لم خُص الإنفاق الموصل إلى البر، بأن يكون مما يحب المنفِق ؟

والإجابة على ذلك:

إن تخصيص الإنفاق الموصل إلى البر، بأن يكون مما يحب المنفق، يقصد إلى استخلاص الشح من النفوس، وتهذيبها بمكارم الأخلاق ؛ لما في الإنفاق مما يحب المنفِق من جماع وجوه الخير ؛ ذلك أن الإنفاق بهذه الصورة . مما يحب المنفِق . درجة عالية من الجود والبذل، ولا يصل إليها إلا من أتى بما دونها، من فعل الخير بجميع صوره.

فمن استطاع أن يصل إلى هذه الدرجة، كان محققًا لما دونها. وقادرًا على أن يحقق غيرها من صور الخير، وبذلك جمعت هذه العبارة ﴿**حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾ جميع صور الخير. كما جمعت بين التخلية والتحلية، التخلية من الشح الذي يحول بين الإنسان، وفعل الخير، والتحلية بمكارم الأخلاق ومحاسن الصفات. فلن يصل إلى هذه الدرجة إلا من تخلى عن الشح، ولن يصل إلى هذه الدرجة إلا من استجمع من مكارم الأخلاق ومحاسن الصفات، ما يصل به إلى درجة الإنفاق مما يحب.

ولما كان هذا الأمر يحتاج إلى مجاهدة، قد تستغرق زمنًا يتخلى فيه الإنسان عن كثير من الخصال المذمومة، ويتحلى بكثير من الخصال المحمودة، حتى

الشوكاني اليمني ٤١٣/١. الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب. دمشق بيروت. الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

يصل إلى درجة الإنفاق من أحب أمواله إليه، جاء التعبير بـ (حتى) في قوله تعالى: ﴿... **حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ**... ﴾ [1] مشعرًا بأن وصول الإنسان إلى هذه المرحلة، التي يستطيع فيها أن يتخلص من شح نفسه، وينفق مما يحب ؛ يسبقه مراحل عدة، يجاهد فيها نفسه، حتى يصل إلى هذه المرحلة. وهذا ما أفاده التعبير بـ (حتى)، في الآية الكريمة ؛ حيث " جُعل الإنفاق من نفس المال المُحَبِّ، غاية لانتفاء نوال البر، ومقتضى الغاية: أن نوال البر لا يحصل بدونها، وهو مشعر بأن قبل الإنفاق مسافات معنوية في الطريق الموصلة إلى البر، وتلك هي خصال البر كُلُها بقيت غير مسلوكة، وأن البر لا يحصل إلا بنهايتها وهو الإنفاق من المحبوب. فظهر لـ (حتى) هنا موقع من البلاغة لا يخلفها فيه غيرها ؛ لأنه لو قيل إلا أن تنفقوا مما تحبون، لتوهم السامع أن الإنفاق من المُحَبِّ وحده يوجب نوال البر. وفاتت الدلالة على المسافات والدرجات التي أَشعرت بها (حتى) الغائية" [2].

فالمقصود من الآية: تطهير النفوس من الشح الذي يجعل الإنسان يستثقل ويستعظم أمر الإنفاق مما يحب. ذلك أن الإنسان الذي يصل إلى هذه الدرجة، فينفق ويتصدق ويتعاون مع الآخرين عن حب، ورضا وسماحة نفس، وطيب خاطر، بحيث لا يستثقل تقديم الخير والعون للآخرين وبحيث لا تتعلق نفسه بما يعطيه للغير، هو الإنسان الذي تغلب على شح نفسه، واستجمع من خصال الخير، ما وصل به إلى ذلك.

---

(١) سورة آل عمران: جزء آية: ٩٢.

(٢) التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) تأليف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي ٦/٤. الناشر: الدار التونسية للنشر تونس. سنة النشر: ١٩٨٤م.

ومن الجدير بالذكر: إن ارتباط الوصول إلى البر بالإنفاق من أحب الأموال إلى المنفق، ليس معناه أن ينفق الإنسان كل ما يحب. فقد قال تعالى: ﴿ **مِمَّا تُحِبُّونَ** ﴾ وليس: ما تحبون. فـ "من" في قوله تعالى ﴿ **مِمَّا تُحِبُّونَ** ﴾ للتبعيض [(١)]. أي بعض ما تحبون، وليس الكل. فالغرض تزكية النفس من الشح، قال تعالى: ﴿... **وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [(٢)].

هذا، وقد اختلف المفسرون في معنى المحبة في قوله تعالى: ﴿**مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾ هل المقصود الحب بمعنى تعلق القلب بالمحبوب ؟ أو الحب بمعنى الرضا والاستحسان وإرادة الشيء على ألطف الوجوه؟ أم هل المقصود الحب بمعنى الحاجة ؟

اختلف المفسرون في ذلك ؛ حيث اختلفوا في المراد بقوله تعالى: ﴿ **مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾، " فمنهم من قال: إنه نفس المال، قال تعالى: ﴿ **وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ**﴾ [(٣)]. ومنهم من قال: أن تكون الهبة رفيعة جيدة، قال تعالى: ﴿...**وَلا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ...** ﴾ [(٤)]. ومنهم من قال: ما يكون محتاجًا إليه، قال

---

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. تأليف: الإمام أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري ٣٧٧/١. ط /دار الكتب العلمية. بيروت لبنان. الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ١٩٩٥م، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) تأليف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الرى ٢٩٠/٨. الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت. الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ.

(٢) سورة الحشر: جزء آية: ٩، وسورة التغابن: جزء آية:١٦.

(٣) سورة العاديات: آية: ٨.

(٤) سورة البقرة: جزء آية: ٢٦٧.

تعالى: ﴿ **وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ...** ﴾ [١]، فإن أحد تفاسير الحب في هذه الآية: على حاجتهم إليه. وقال تعالى: ﴿... **وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ...** ﴾ [٢] والأولى أن يُقال: كل ذلك معتبر في باب الفضل وكثرة الثواب" [٣].

ويرجع اختلاف المفسرين في ذلك، إلى أن المال المحبوب يختلف باختلاف أحوال المتصدقين ورغباتهم، وسعة ثرواتهم [٤]. ولذا، خُتمت الآية الكريمة، بقول الحق تبارك وتعالى: ﴿... **وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ** ﴾ وهو تذييل قُصد به تعميم أنواع الإنفاق، وتبيين أن الله تعالى لا يخفى عليه شيء من مقاصد المنفقين. وقد يكون الشيء القليل نفيسًا بحسب حال صاحبه [٥].

ففي ختام الآية الكريمة بذلك، تذكير للمنفِقين، بأن الله تعالى مطلع على مقدار وقع المنفَق في نفوسهم ؛ طيبًا يحبونه، أم خبيثًا يكرهونه. وهو سبحانه مجازيهم على قدر ذلك. "وفي ذلك من الترغيب في إنفاق الجيد والتحذير عن إنفاق الردئ ما لا يخفى"[٦].

---

(١) سورة الإنسان: جزء آية ٨.

(٢) سورة الحشر: جزء آية: ٩.

(٣) تفسير الرازي ٨/ ٢٨٩.

(٤) التحرير والتنوير ٤/ ٦.

(٥) المرجع السابق ٤/ ٧.

(٦) تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) تأليف: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى ٢/ ٥٨. الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت.

وقد أدرك صحابة رسول الله ﷺ، هذا المعنى الذي اشتملت عليه الآية الكريمة، فسارعوا رضوان الله عليهم، عندما نزلت هذه الآية إلى الإنفاق مما يحبون.

يؤيد ذلك، ما رواه الإمامان البخاري ومسلم في صحيحيهما، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، أنه سمع أنس بن مالك رضي الله عنه، يقول: كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالاً من نخل، وكان أحبُ أمواله إليه بَيْرُحَاءَ (١)، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماءٍ فيها طيب، قال أنس: فلما أُنزلت هذه الآية: ﴿ **لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ...**﴾ (٢) قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿ **لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ...** ﴾ وإن أحب أموالي إليَّ بَيْرُحَاءَ، وإنها

(١) اسم أرض كانت له. وهذه اللفظة كثيرًا ما تختلف ألفاظ المحدثين فيها، فيقولون: بَيرَحاء، بفتح الباء وكسرها، وبفتح الراء وضمها والمد فيهما. ويقولون: بَيْرَحَى، بفتح الباء والراء والقصر. فيعلي من البراح، وهي الأرض المنكشفة الظاهرة. [الفائق في غريب الحديث والأثر. تأليف: أبو القاسم= =محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله. تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم ٩٣/١، الناشر: دار المعرفة. لبنان. الطبعة الثانية، النهاية في غريب الحديث والأثر. تأليف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير. تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي ١١٤/١، الناشر: المكتبة العلمية بيروت ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م].

(٢) سورة آل عمران: جزء آية: ٩٢.

صدقة لله، أرجو بِرَّها [١] وذُخْرها عند الله [٢]، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله. قال: فقال رسول الله ﷺ: ((بَخٍ [٣]، ذلك مال رابح، ذلك مال رابح، وقد سمعت ما قلت، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين)). فقال أبو طلحة: أَفْعَلُ يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه [٤].

---

(١) أي خيرها.[عمدة القاري شرح صحيح البخاري. تأليف: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني ٩/ ٣٠، الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت].

(٢) الذُخْر: ما يُعد لوقت الحاجة إليه. ومعنى ذُخرها: أي أجرها، أو نتيجتها المدخرة وفائدتها المدخرة أي: أقدمها فأدخرها لأجدها عند الله تعالى وقت حاجتي إليها، وهو يوم القيامة. يعني: لا أُريد ثمرتها العاجلة الدنيوية الفانية، بل أطلب مثوبتها الآجلة الأخروية الباقية عند الله.

[يراجع: عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٩/ ٣٠، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح. تأليف: علي بن (سلطان) محمد أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري ٤/ ١٣٥٦، الناشر: دار الفكر بيروت. لبنان. الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين. تأليف:= =محمد على بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي. اعتنى بها: خليل مأمون شيحا ٣/ ١٢٦، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت. لبنان. الطبعة الرابعة ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م].

(٣) بَخٍ: كلمة يقولها المعجب بالشيء. [الفائق في غريب الحديث والأثر ١/٩٣].

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه. كتاب: الزكاة. باب: الزكاة على الأقارب. حديث رقم: (١٤٦١) ٢/ ١١٩. كما أخرجه فى كتاب: الوكالة. باب: إذا قال الرجل لوكيله: = =ضعه حيث أراك الله، وقال الوكيل: قد سمعت ما قلت. حديث رقم: (٢٣١٨) ٣/ ١٠٢، وفي كتاب: الوصايا. باب: من تصدق إلى وكيله ثم رد الوكيل إليه. حديث رقم: (٢٧٥٨) ٤/ ٨، وفي موضع آخر من كتاب الوصايا. باب: إذا وقف أرضًا ولم يبين الحدود فهو جائز، وكذلك الصدقة. حديث رقم: (٢٧٦٩) ٤/١١. وأخرجه في كتاب: تفسير القرآن.

هذا، وفي سير صحابة رسول الله ﷺ غير ذلك، الكثير من المواقف التى تبين إدراك الصحابة رضوان الله تعالى عليهم للمعنى الذي اشتملت عليه هذه الآية الكريمة، التي تبين طريق الوصول إلى البر.

والسؤال الآن: ما هو البر ؟

والإجابة على هذا السؤال في آية قرآنية كريمة، بينت جوهر البر وحقيقته وماهيته ؛ في عدة خصال.

ولكن، قبل الحديث عن هذه الخصال، لابد أولاً من بيان معنى البر في اللغة، وفي اصطلاح العلماء.

* * *

سورة آل عمران. باب: ﴿ **لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ** ﴾ حديث رقم: (٤٥٥٤) ٦/ ٣٧، وأخرجه في كتاب: الأشربة. باب: استعذاب الماء. حديث رقم (٥٦١١) ١٠٩/٧. [الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري). تأليف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي. تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. الناشر دار طوق النجاة. الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ].

وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه. كتاب الزكاة. باب: فضل النفقة والصدقة على الأقربين. حديث رقم: (٩٩٨/ ٤٢، ٤٣) ٢/ ٦٩٣، ٦٩٤. [المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ. تأليف: مسلم ابن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت].

معنى البر

. معنى البر في اللغة:

ترجع هذه الكلمة إلى مادة (بـ ر ر)، وتدور مادة (بـ ر ر) في اللغة حول عدة معان، منها: الصِّدق. يُقال: صَدَقَ فلان وبَرَّ، وبَرَّتْ يَمِينُهُ: صَدَقَتْ. وأَبَرَّهَا: أمضاها على الصدق.

وتقول: بَرَّ الله حَجَّكَ وأَبَرَّهُ، وحِجَّةٌ مَبْرُورَة، أي: قُبلت قَبُول العمل الصادق. ومن ذلك قولهم: يَبَرُّ ربه، أي يطيعه. وهو من الصدق. ومنه قول الله تعالى: ﴿ **لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ...** ﴾ (١).

ومن هذا الباب أيضًا، قولهم: هو يَبَرُّ ذا قرابته، وأصله الصدق في المحبة. يُقال: رجل بَرٌّ وبارٌّ. وبَرِرْتُ وبَرَرْتُ والدي. وبَرِرْتُ وبَرَرْتُ في يميني (٢).

والبِرُّ: الصلة. يُقال: بَرَرْتُه بِرًّا: وصلته. وبَرَّ رَحِمَهُ يَبَرُّ، إذا وصله. وفي التنزيل العزيز: ﴿**..أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ..**﴾ (٣).

---

(١) سورة البقرة: جزء آية: ١٧٧.

(٢) معجم مقاييس اللغة. تأليف: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي أبو الحسين. تحقيق: عبد السلام محمد هارون ١/١٧٧، ١٧٨. الناشر: دار الفكر. عام النشر: ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م، ولسان العرب لابن منظور ٤/٥١ ٥٣، تاج العروس من جواهر القاموس. تأليف: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني أبو الفيض الملقب بمرتضى الزبيدي ١٠/١٥٤، ١٥٥، الناشر: دار الهداية.

(٣) سورة الممتحنة: جزء آية: ٨.

والبِرُّ: الطاعة، وبه فُسر البر في قوله تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ...﴾ [١]، ويُقال: رجل بَرٌّ بذي قرابته. وبارٌّ ؛ من قوم بَرَرَةٍ وأَبْرَارٍ، والمصدر: البِرُّ. وبَرَّ يَبَرُّ إذا صَلَحَ. والبِرُّ ضد العُقُوقُ [٢].

والبر ضد الإثم، قال تعالى: ﴿... وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ... ﴾ [٣]. فجعل البر ضد الإثم [٤].

وكل هذه المعاني المذكورة في معنى البر، يجمعها قول الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه: ((البر حُسن الخُلق..)) [٥]. حيث إن هذه المعاني المذكورة، هي مجامع حسن الخُلق.

وقد ذكر بعض علماء الاشتقاق أن أصل الكلمة ومادتها (بـ ر ر) موضوعة لمعنى السَّعَة. ومنه البَرّ (مقابل البحر). وتُصور منه التوسع، فاشتُق منه البِرُّ، أي التوسع في فعل الخير. ويُنسب ذلك إلى الله تعالى تارة، كما في قوله تعالى: ﴿...إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ [٦]، وإلى العبد تارة، فيُقال: بَرّ العبد ربه، أي توسع في طاعته. فمن الله تعالى: الثواب. ومن العبد: الطاعة [٧].

---

(١) سورة البقرة: جزء آية: ٤٤.

(٢) لسان العرب ٤/ ٥٢ ٥٤، تاج العروس ١٠/ ١٥١ ١٥٣.

(٣) سورة المائدة: جزء آية: ٢.

(٤) تفسير الرازي ٥/ ٢١٣.

(٥) جزء حديث، أخرجه الإمام مسلم في صحيحه. كتاب (٤٥) البر والصلة والآداب. باب: (٥) تفسير البر والإثم. حديث رقم: (٢٥٥٣/ ١٤)، (٢٥٥٣/ ١٥) ٤/ ١٩٨٠.

(٦) سورة الطور: جزء آية: ٢٨.

(٧) المفردات في غريب القرآن. تأليف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني. تحقيق: صفوان عدنان الداودي ١/ ١١٤، الناشر: دار القلم، الدار الشامية. دمشق بيروت. الطبعة الأولى ١٤١٢هـ، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب=

ـ معنى البر في الاصطلاح:

اختلف العلماء في تفسير البر، فقال بعضهم: البر: الصلاح.

وقال بعضهم: البر: الخير. وعلى هذا القول عقب شَمِر [1] بقوله: ولا أعلم تفسيرًا أجمع منه ؛ لأنه يحيط بجميع ما قالوا.

وجعل لَبِيدُ البِرُّ التُّقى، حيث يقول: وما البِرُّ إلا مضمرات من التُّقى.

وقال أبو منصور الأزهري في التهذيب: البِرُّ: خير الدنيا والآخرة، فخير الدنيا: ما ييسره الله تبارك وتعالى للعبد من الهدى والنعمة والخيرات،وخير الآخرة: الفوز بالنعيم الدائم في الجنة [2].

ويجمع ذلك: القول بأن البر: اسم جامع للخير كله [3].

= العزيز. تأليف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي. تحقيق: محمد على النجار ٢/ ٢١٣، الناشر: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي القاهرة ١٤١٦هـ ١٩٩٦م، تاج العروس ١٠/ ١٥١، ١٥٢.

(١) شمر بن حمدويه الهروي، أبو عمرو لغويّ أديب. من أهل هراة ب (خراسان) زار بلاد العراق في شبابه، وأخذ عن علمائها. له كتاب كبير في اللغة، ورأى منه الأزهري المتوفى سنة ٣٧٠هـ تفاريق أجزاء غير كاملة. ومن كتبه أيضًا (غريب الحديث). كبير جدًا. توفى سنة ٢٥٥هـ. [الأعلام. تأليف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي ١٧٥/٣. الناشر: دار العلم للملايين. الطبعة الخامسة عشر أيار. مايو ٢٠٠٢م].

(٢) تهذيب اللغة ١٣٤/١٥، ١٣٥، لسان العرب ٥٢/٤، تاج العروس ١٥١/١٠.

(٣) تهذيب اللغة ١٥/ ١٣٨، تفسير الرازي ٥/ ٢١٣، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي). تأليف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي. تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش ٢/ ٢٣٨، الناشر: دار الكتب المصرية القاهرة. الطبعة الثانية ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م، المنهاج شرح صحيح =

وبهذا يتضح أن جميع الأقوال التي ذُكرت في تعريف البر تدور حول معنى الطاعة والخير.

كما يتضح أن هناك ترابط بين المعنى اللغوي والاصطلاحي، ذلك أن كل طاعة يفعلها الإنسان وكل خير يقدمه الإنسان أو يناله، راجع إلى الصدق. فالصدق أصل لكل طاعة، وكل طاعة بِر.

ومن هنا أجمع العلماء على أن كل طاعة لله تسمى برًا، كما ذكر الإمام الطبري عند تفسير قوله تعالى: ﴿**أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ..**﴾ (١).

حيث يقول: اختلف أهل التأويل في معنى البر، في الآية الكريمة، بعد إجماع جميعهم على أن كل طاعة لله، فهي تُسمى بِرًا (٢).

وهذا الإجماع على أن كل طاعة لله تُسمى بِرًا، راجع إلى تعدد خصال البِر، التي ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز، وعلمنا إياها رسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه في العديد من الأحاديث.

=مسلم بن الحجاج (شرح النووي على مسلم) تأليف: أبو زكريا محي الدين يحيى بن شرف النووي ١٦/١٦٠، الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت. الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ.

(١) سورة البقرة: جزء آية: ٤٤.

(٢) تفسير الطبري ١/ ٧.

خصال البر (حقيقة البِر)

بَيَّنَ الله تعالى حقيقة البِر، في عدة خصال، في آية جامعة، في أعظم سورة في القرآن الكريم، ألا وهي سورة البقرة. وذلك في قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ (١).

والآن، بعد قراءة هذه الآية الكريمة التي جمع الله تعالى فيها خصال البِر، مبينًا بذلك سبحانه جوهر البِر وحقيقته، يتبادر إلى الذهن سؤال، وهو: أن الله تعالى نفي أن يكون التوجه إلى القِبلة بِرًا، ثم بَيَّن سبحانه أن البِر يشمل عدة أمور ؛ منها الصلاة، ولابد فيها من استقبال القبلة. فما معنى النفي إذًا ؟

والجواب على ذلك فيه أقوال:

القول الأول:

أن النفي في قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ﴾ نفي لكمال البِر، وليس نفيًا لأصله. فالمعنى: ليس البِر كله هو هذا، ولكن البِر هو مجموع هذه الخصال الحميدة. واستقبال القبلة واحد منها، فلا يكون ذلك تمام البر.

(١) سورة البقرة: آية: ١٧٧.

القول الثاني:

أن يكون النفي في قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ﴾ نفيًا لأصل كونه بِرًا ؛ لأن استقبالهم للمشرق والمغرب بعد النسخ لا يُعد في البر، بل كان إثمًا ؛ لأنه عمل بمنسوخ.

القول الثالث:

أن استقبال القبلة لا يكون بِرًا إذا لم يُقارنه معرفة الله، وإنما يكون بِرًا إذا أُتي به مع الإيمان، وسائر الخصال المذكورة في الآية الكريمة [1].

وعلى هذا، فالآية الكريمة تُعد بيانًا لحقيقة البِر ؛ حيث بَيَّن الله تعالى في هذه الآية الكريمة أن البر ليس مجرد تأدية أشكال العبادات وصورها الظاهرة فقط، وأن حقيقة البِر لا تنحصر في الأعمال الظاهرة. بل إن حقيقة البِر تتضمنها هذه الخصال التي تجمع بين صلاح الظاهر والباطن معًا ؛ بحيث يكون عمل الظاهر تابعًا لسلامة الباطن ولازمًا له. فليس في لزوم التوجه عند الصلاة إلى جهة المشرق أو المغرب بِر ولا طاعة ؛ إن لم يكن ذلك صادرًا عن إيمان بالله تعالى وامتثال لأوامره عز وجل.

وكذلك، ليس في لزوم التوجه عند الصلاة إلى جهة المشرق أو المغرب بِر ولا طاعة، إن لم يقترن ذلك بالأخلاق الفاضلة التي يظهر أثرها، بِرًا وإحسانًا في جميع علاقات المسلم بكل من حوله. وقبل ذلك، في علاقته بربه عز وجل. كما يظهر أثرها صدقًا والتزامًا في جميع معاملاته.

---

(١) يُراجع: تفسير فخر الدين الرازي ٥/ ٢١٣، ٢١٤، البحر المحيط في التفسير. تأليف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي. تحقيق: صدقي محمد جميل ٢/ ١٣٣، الناشر: دار الفكر بيروت. تاريخ الطبعة: ١٤٢٠هـ.

هذا ما تضمنته هذه الآية الكريمة الجامعة لحقيقة البِر ؛ في عدة خصال، تدور بمجموعها حول أمور أربعة، تشمل صلاح المسلم ظاهرًا وباطنًا.

- وأول هذه الأمور: **العقيدة:**

فقد جمعت الآية الكريمة عناصر العقيدة الصحيحة وعَدَّتها أول خصال البِر، في قوله تعالى: ﴿... **وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ...** ﴾ (١).

- الأمر الثاني: **المعاملات:**

وهو ما أشارت إليه الآية الكريمة، في قوله تعالى: ﴿... **وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ...** ﴾(٢).

- الأمر الثالث: **العبادات:**

وهو ما أشارت إليه الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿... **وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ...** ﴾ (٣).

- الأمر الرابع: **الأخلاق:**

وهو ما أشارت إليه الآية الكريمة، في قوله تعالى: ﴿... **وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ** ﴾ (٤).

وبهذا، جمعت الآية الكريمة كل ما يتعلق بشأن المسلم مع ربه ومع مجتمعه، في هذه الخصال الموضحة لحقيقة البِر.

---

(١) سورة البقرة: جزء آية: ١٧٧.

(٢) سورة البقرة: جزء آية: ١٧٧.

(٣) سورة البقرة: جزء آية: ١٧٧.

(٤) سورة البقرة: جزء آية: ١٧٧.

وبهذه الخصال التي حددت معالم البِر وبَيَّنت حقيقته، وضعت الآية الكريمة قاعدة عامة لجميع أعمال الخير، التي يفعلها المسلم، تنص هذه القاعدة على أن العمل الظاهر، الذي لا ينفذ أثره إلى الباطن، ولا يؤثر في السلوك ؛ لا اعتداد به. فالعبرة ليست بشكل العمل وصورته الظاهرة فقط. بل العبرة بما ينطوي عليه العمل من إخلاص، وبما يثمره في النفس من مكارم الأخلاق وحميد الصفات ؛ وهذا هو الشأن في جميع الأعمال، ومن ذلك، قول الله تعالى في شأن الأضاحي والهدايا: ﴿ لَنْ يَنَالَ اللهَّ لُحومُهَا وَلا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ... ﴾ (١).

ولتقرير هذه القاعدة، افتُتحت الآية الكريمة، الموضحة لحقيقة البِر، بنفي حصر حقيقة البِر، في تولية الوجه عند الصلاة إلى جهة المشرق أو المغرب في قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ... ﴾ (٢).

"وقد اختلف العلماء في أن هذا الخطاب في الآية عام أو خاص ؟

فقال بعضهم: المراد بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ..﴾ أهل الكتاب، لما شددوا في الثبات على التوجه نحو بيت المقدس، فقال تعالى: ليس البِر هذه الطريقة ولكن البِر من آمن بالله.

وقال بعضهم: بل المراد مخاطبة المؤمنين لما ظنوا أنهم قد نالوا البغية بالتوجه إلى الكعبة من حيث كانوا يحبون ذلك فخوطبوا بهذا الكلام.

وقال بعضهم: بل هو خطاب للكل ؛ لأن عند نسخ القبلة وتحويلها حصل من المؤمنين الاغتباط بهذه القِبلة وحصل منهم التشدد في تلك القِبلة، حتى ظنوا أنه الغرض الأكبر في الدين، فبعثهم الله تعالى بهذا الخطاب على استيفاء جميع

(١) سورة الحج: جزء آية: ٣٧.

(٢) سورة البقرة: جزء آية: ١٧٧.

العبادات والطاعات، وبَيَّن أن البِر ليس بأن تولوا وجوهكم شرقًا وغربًا، وإنما البِر ما ذُكر في الآية من خصال.

وهذا أشبه بالظاهر، إذ لا تخصيص فيه، فكأنه تعالى قال: ليس البِر المطلوب هو أمر القِبلة بل البِر المطلوب هذه الخصال التي عدها" (١).

والمقصود بأن هذا القول أشبه بالظاهر ؛ إذ لا تخصيص فيه: أن هذا القول الثالث الذي يرى أصحابه أن الخطاب في الآية للكل، هو أقرب الأقوال لظاهر الآية ؛ "لأنه لا يوجد نص صحيح يخصص الخطاب لطائفة معينة من الناس، ولأن المقصود من الآية الكريمة، إنما هو إفهام الناس في كل زمان ومكان ؛ أن مجرد تولية الوجه إلى قِبلة مخصوصة ليس هو البِر الكامل الذي يعنيه الإسلام، وإنما البر الكامل يتأتى في استجابة الإنسان لتلك الخصال الشريفة التي اشتملت عليها الآية" (٢).

ولما كانت هذه الخصال التي اشتملت عليها الآية الكريمة، تمثل بمجموعها جوهر البِر وحقيقته، فإن كل خصلة من هذه الخصال، لها من الأهمية ما يستدعي الحديث عنها بشيء من التفصيل.

أولاً: الإيمان:

الإيمان ؛ أول خصال البِر التي ذكرتها الآية الكريمة، في قوله تعالى: **﴿...وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ... ﴾** (٣).

---

(١) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) تأليف: الإمام فخر الدين الرازي ٢١١/٥.

(٢) التفسير الوسيط للقرآن الكريم. تأليف: د. محمد سيد طنطاوي ٣٦٠/١، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع. الفجالة القاهرة. الطبعة الأولى ١٩٩٧م.

(٣) سورة البقرة: جزء آية: ١٧٧.

وهذه أركان الإيمان التي ذكرها الرسول ﷺ في حديث طويل، حين جاءه جبريل عليه السلام وسأله عن الإسلام، والإيمان، والإحسان. فأجاب ﷺ عن الإيمان قائلاً: ((أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره)) (١).

ولم يُصرح في الآية بالإيمان بالقدر ؛ لأن الإيمان بالكتاب يتضمنه (٢).

وقد ابتدأت الآية حديثها عن خصال البِر بالإيمان ؛ لأنه أساس كل بِر وأصل كل خير (٣).

وخُصَّ الإيمان بهذه الأمور الخمسة ؛ لأنها تشتمل على كل ما يلزم أن يصدق به الإنسان، فقد اشتمل الإيمان بالله على: المعرفة بتوحيده وعدله وحكمته، واشتمل الإيمان باليوم الآخر على: المعرفة بما يلزم من أحكام الثواب والعقاب والمعاد، إلى سائر ما يتصل بذلك. واشتمل الإيمان بالملائكة على ما يتصل بأدائهم الرسالة إلى النبي ﷺ ليؤديها إلينا، إلى غير ذلك مما يجب أن يُعلم من أحوال الملائكة. والإيمان بالكتاب: شمل الإيمان بالقرآن، وجميع ما أنزل الله على أنبيائه، كما شمل الإيمان بالنبيين: الإيمان بنبوتهم، وصحة شرائعهم، فثبت أنه لم يبق شيء مما يجب الإيمان به إلا تضمنته هذه الآية (٤).

---

(١) جزء حديث طويل أخرجه الإمام البخاري في صحيحه. كتاب الإيمان. باب: سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان، والإسلام والإحسان، وعلم الساعة. حديث رقم: (٥٠) ١/ ١٩. كما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه. كتاب الإيمان. باب: معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر وعلامة الساعة. حديث رقم: (١/٨) ١/ ٣٦. ولفظ الرواية المذكورة لمسلم.

(٢) البحر المحيط ٢/ ١٣٣.

(٣) التفسير الوسيط للقرآن الكريم. تأليف: د. محمد سيد طنطاوي ٣٦١/١.

(٤) يراجع تفسير الرازي ٥/ ٢١٥.

وبمجموع هذه الأمور يتحقق الإيمان، " الذي يملأ النفس خشية الله تعالى، ومراقبة له عز وجل في السر والعلن، ويصبح حاجزًا منيعًا قويًا بين النفس ومزالق الشيطان، فإذا أخطأ الإنسان بادر إلى التوبة الصادقة.

إذن البِر في هذا الإيمان الحقيقي الكامل الشامل لأصول الاعتقاد. وأساس البِر: الإيمان بالله إلهًا واحدًا لا شريك له ولا معبود سواه، وهو الإيمان الذي يشعر النفس بالعزة والسمو، إذ لا يخضع بعدئذ لأي إنسان في هذا الوجود، وهو الإيمان الذي تطمئن به القلوب، وتهدأ له النفوس، فلا تبطر بنعمة ولا تيأس بنقمة " [1]. حيث يعطي الإيمان بالله تعالى، للإنسان سندًا قويًا يعتمد عليه، فلا يخاف من أحد، ولا يخاف على شيء، ولا يحزن على ما فاته. ولا يحمل عبء التفكير في وصول الرزق إليه، فالله تعالى هو الذي تكفل بأرزاق العباد، قال تعالى: ﴿ **وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا...**﴾[2] وبذلك يسعى الإنسان ويعمل، كما أمره الله تعالى، وهو هادئ النفس، مطمئنًا على وصول ما قسمه الله له من الرزق، موقنًا أن: ﴿ **مَا يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾ [3].

والإيمان باليوم الآخر، على أنه مقر الثواب والعقاب والحساب والعرض على الله تعالى، يكون سببًا للمزيد من العمل الصالح، والبعد عن قبيح الأفعال.

والإيمان بالملائكة، على أنهم أجسام نورانية لهم مهام عديدة، دأبهم الطاعة، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، منهم حملة الوحي، ومنهم الموكل

---

(١) يراجع التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج. تأليف: د. وهبة بن مصطفى الزحيلي ٢/ ٩٥، ٩٦، الناشر: دار الفكر المعاصر. دمشق. الطبعة الثانية ١٤١٨هـ.

(٢) سورة هود: جزء آية: ٦.

(٣) سورة فاطر: آية: ٢.

بالجنة أو بالنار، ومنهم الموكل بالرياح والأمطار، ومنهم سدنة العرش، ومنهم من يقبض الأرواح، ومنهم الحفظة، والإيمان بهم أصل للإيمان بالوحي والنبوة واليوم الآخر.

والإيمان بالكتاب، يستلزم الإيمان بجميع الكتب السماوية المنزلة على الأنبياء، ويقتضي الإيمان بالقرآن الكريم والامتثال لما تضمنه من أوامر ونواه، والالتزام به ؛ لأنه جاء مصدقًا لما بين يديه من الكتب ومهيمنًا عليها.

والإيمان بالأنبياء جميعهم دون تفرقة بين نبي وآخر، يستلزم الاهتداء بهديهم، والإقتداء بسيرتهم وأخلاقهم، والتآسي بهم فيما أمروا به أو نهوا عنه.

والإيمان الصحيح لابد أن يقترن بالعمل الصالح الذي يهذب النفس، ويصحح العلاقات الاجتماعية، ويجعلها قائمة على أساس متين من المحبة والتعاون والتضامن والتكافل الاجتماعي [١]. ويتمثل ذلك فيما يلي من خصال البِر التي ذكرتها الآية الكريمة.

ثانيًا: إعطاء المال مع حبه للأصناف المذكورة في الآية الكريمة، في قوله تعالى: ﴿... **وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ**... ﴾ [٢].

وقوله تعالى: ﴿ **آتَى** ﴾ معناه: أعطى [٣] أي وأعطى المال مع حبه [٤].

وفي قوله تعالى: ﴿ **عَلَى حُبِّهِ** ﴾، ذكر المفسرون وجوهًا في مرجع الضمير:

---

(١) التفسير المنير ٢/ ٩٦، ٩٧ (بتصرف).

(٢) سورة البقرة: جزء آية: ١٧٧.

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. تأليف: أبو محمد عبد الحق ابن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي. تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد ٢٤٣/١، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت. الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

(٤) تفسير المراغي. تأليف: أحمد بن مصطفى المراغي ٢/ ٥٦، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر. الطبعة الأولى ١٣٦٥هـ ١٩٤٦م.

الأول: وهو قول الأكثرين ؛ أن الضمير في قوله تعالى: ﴿ عَلَى حُبِّهِ ﴾ راجع إلى المال، أي مع حب المال.

الثاني: أن الضمير يرجع إلى الإيتاء أي يعطي ويحب الإعطاء، فهو طيب النفس بإعطائه.

الثالث: أن الضمير عائد على اسم الله تعالى، والمعنى: يعطون المال على حب الله تعالى. أي على طلب مرضاته [١].

ويؤيد القول الأول، وهو أن الضمير في قوله تعالى: ﴿ عَلَى حُبِّهِ ﴾ عائد على المال: قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ... ﴾ [٢]، وقوله تعالى: ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ... ﴾ [٣]، أي على حب الطعام [٤].

كما أن هذا القول، إنما ينطوي على القولين الآخرين ؛ ذلك أن من يعطي المال مع حبه للمال، إنما يفعل ذلك لشيء أعظم، وهو محبة الله تعالى. ولا شك أن هذا إنما يكون عن طيب نفس وحب لهذا الإعطاء الذي ينال به رضا الله تعالى.

إن إنفاق المال مع حبه، إنما يدل على قوة الإيمان. حيث جُبلت النفوس على حب المال، كما قال تعالى: ﴿ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾ [٥]. فإذا بلغ الإنسان

(١) يراجع: الكشاف للزمخشري ١/ ٢١٦، ٢١٧، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي ١/ ٢٤٣، تفسير الرازي ٥/٢١٥، ٢١٦.
(٢) سورة آل عمران: جزء آية: ٩٢.
(٣) سورة الإنسان: جزء آية: ٨.
(٤) تفسير الرازي ٥/ ٢١٥.
(٥) سورة الفجر: آية: ٢٠.

مرتبة يتخلى فيها عما يحب، لشيء أعظم، وهو حبه لله جل وعلا، كان ذلك دليلاً على قوة الإيمان.

ومن هنا كان الإعطاء بهذه الصورة أحد خصال البِر المذكورة في الآية الكريمة ؛ بل إنه طريق الوصول إلى البر، كما في قوله تعالى: ﴿ **لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ...** ﴾ (١). وبهذا الإعطاء يصير الإنسان من الأبرار الذين ذكر الله تعالى ثوابهم في سورة الإنسان، في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا**﴾ (٢).

ثم ذكر سبحانه من صفاتهم التي استحقوا بها نيل هذا الجزاء: ﴿**وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا** ﴾ (٣).

من ذلك يتضح أن الإنفاق الذي يُعد خصلة من خصال البِر، هو الإنفاق المصحوب بمحبة المنفق لما ينفقه.

هذا، وفي بيان الآية الكريمة لهذه الخصلة من خصال البِر، بقوله تعالى: ﴿... **وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ...** ﴾ (٤) ؛ جمعت الآية ما يتعلق بالإنفاق من عدة جوانب: حيث اشتمل قوله تعالى: ﴿ **عَلَى حُبِّهِ** ﴾ على:

١ ـ نوع ما يقع منه الإنفاق، وهو أن يكون مما يحبه المنفق، لا مما يكرهه أو يزهد فيه.

---

(١) سورة آل عمران: جزء آية: ٩٢.
(٢) سورة الإنسان: الآيات: ٥، ٦.
(٣) سورة الإنسان: آية: ٨.
(٤) سورة البقرة: جزء آية: ١٧٧.

٢ . موقف المنفِق وصورة الإنفاق، فالمنفِق مما يحب ما أقدم على ذلك إلا وقد تغلب على شح نفسه، فهو طيب النفس بهذا الإنفاق. وأفضل الصدقة، ما أنفقها الإنسان على هذا الحال، كما قال رسول الله ﷺ، في الحديث الذي أخرجه الإمامان البخاري ومسلم في صحيحيهما، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أي الصدقة أعظم أجرًا ؟ قال:)(أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر، وتأمل الغنى، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم، قلت لفلان كذا، ولفلان كذا وقد كان لفلان)) [١].

ومعنى الحديث: أن الشح غالب في حال الصحة، فإذا تغلب الإنسان على شح نفسه في حال صحته، وتصدق. كان أصدق في نيته وأعظم لأجره بخلاف من أشرف على الموت وآيس من الحياة ورأى مصير المال لغيره [٢].

٣ . موقف المنفَق عليهم، ذلك أن في الإنفاق مما يحب المنفِق حفاظ على شعور المنفَق عليهم، وتطيب لخاطرهم حيث إن الإنفاق بهذه الصورة لا يشعرهم بذل الحاجة الذي ينشأ بإعطائهم الردئ من المال. وكل هذه الجوانب أفادها التعبير بقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ عَلَى حُبِّهِ ﴾.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه. كتاب الزكاة. باب: فضل صدقة الشحيح الصحيح. حديث رقم: (١٤١٩) ٢/ ١١٠، كما أخرجه في كتاب الوصايا. باب: الصدقة عند الموت. حديث رقم: (٢٧٤٨) ٤/ ٤. وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه. كتاب الزكاة. باب: (٣١) بيان أن أفضل الصدقة صدقة الصحيح الشحيح. حديث رقم: (٩٢/١٠٣٢)، (٩٣/١٠٣٢) ٢/٧١٦.

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (شرح النووي على مسلم) ١٢٣/٧ (بتصرف).

٤ . أما الجانب الرابع المتعلق بالإنفاق، الذي اشتملت عليه الآية الكريمة، فهو: الجهة المنفق عليها، وهو ما بينته الآية الكريمة، في قوله تعالى: ﴿ **ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ** ﴾.

والمراد بـ ﴿ **ذَوِي الْقُرْبَى** ﴾: قرابة المعطي للمال [(١)]. فهم أولى من أعطى من الصدقة ؛ لأن الصدقة عليهم صدقة، وصلة رحم، كما ورد في الحديث الذي رواه الإمام أحمد والترمذي، وغيرهم، عن سلمان بن عامر، قال: قال رسول الله ﷺ: ((الصدقة على ذي القرابة ثنتان: صدقة، وصلة)) [(٢)].

ولذلك جاء ذكرهم مقدمًا على غيرهم من الأصناف التي تستحق الإحسان، في هذه الآية الكريمة، وفي غيرها من الآيات، حيث أمر الله تعالى بالإحسان

---

(١) زاد المسير في علم التفسير. تأليف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن ابن علي بن محمد الجوزي. تحقيق: عبد الرزاق المهدي ١٣٦/١، الناشر: دار الكتاب العربي. بيروت. الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ، التفسير الوسيط. تأليف: د. محمد سيد طنطاوي ١/ ٣٦٣.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده. بمسند المدنيين، من حديث سلمان بن عامر حديث رقم: (١٦٢٢٦) ١٦٤/٢٦،وحديث رقم: (١٦٢٢٧) ١٦٦/٢٦، ١٦٧، وحديث رقم: (١٦٢٣٢) ٢٦/ ١٧٠، وحديث رقم: (١٦٢٣٣)، ورقم: (١٦٢٣٤)، ورقم: (١٦٢٣٥) ٢٦/ ١٧١، ١٧٢. [مسند الإمام أحمد بن حنبل. تأليف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني. تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون. إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي. الناشر: مؤسسة الرسالة. الطبعة الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠١م]. ورواه الإمام الترمذي في سننه. أبواب الزكاة. باب: ما جاء في = =الصدقة على ذي القرابة. حديث رقم: (٦٥٨) ٣٧/٣، ٣٨. [سنن الترمذي. تأليف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك الترمذي أبو عيسى. تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض. الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي مصر. الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م].

إليهم في العديد من آيات القرآن الكريم، ومن ذلك: قوله تعالى: ﴿...وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ... ﴾ (١)، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللهَّ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى... ﴾ (٢)، وقوله تعالى: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴾ (٣)، وقوله تعالى: ﴿ فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللهَّ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٤)، وقوله تعالى: ﴿ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ * يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴾ (٥)، إلى غير ذلك من الآيات.

ثم ذكرت الآية الكريمة بعد ﴿ ذَوِي الْقُرْبَى ﴾ ؛ ممن يحتاجون إلى العون والمساعدة: ﴿ الْيَتَامَى ﴾.

واليتامى: جمع يتيم، وهو من فقد أباه بالموت، ولم يبلغ الحُلم. وهؤلاء اليتامى في حاجة إلى الإحسان إليهم بعد ذوي القربى، متى كانوا محتاجين، لشدة عجزهم عن كسب ما يسد حاجتهم.

والمساكين: جمع مسكين، وهو من لا يملك شيئًا من المال. أو يملك ما لا يكفي حاجاته.

وهذا الصنف من الناس في حاجة إلى العناية والرعاية ؛ لأنهم في الغالب يفضلون الاكتفاء بالقليل، على سؤال الناس. فلا يُفطَنُ لحالهم، كما قال رسول

(١) سورة النساء: جزء آية: ٣٦.
(٢) سورة النحل: جزء آية: ٩٠.
(٣) سورة الإسراء: آية: ٢٦.
(٤) سورة الروم: آية: ٣٨.
(٥) سورة البلد: الآيات: ١٤، ١٥.

الله ﷺ في الحديث الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: ((ليس المسكين بهذا الطَّوَّاف الذي يطوف على الناس، فترُدُّه اللقمة واللقمتان، والتمرة والتمرتان)) قالوا: فما المسكين يا رسول الله ؟ قال: ((الذي لا يجد غِنيً يُغنِيه، ولا يُفْطَنُ له، فيُتَصَدَّق عليه، ولا يسأَلُ الناس شيئًا)) (١).

وفي رواية أخرى: ((ليس المسكين بالذي ترده التمرة والتمرتان، ولا اللقمة واللقمتان، إنما المسكين المتعفف، اقرءوا إن شئتم: ﴿... **لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا...**﴾ (٢))) (٣).

وابن السبيل: هو المسافر المنقطع عن ماله. وسمي بذلك ؛ لملازمته السبيل . أي الطريق . في السفر.

وهذا الصنف من الناس، في حاجة إلى المساعدة والمعاونة حتى يستطيع الوصول إلى بلده.

وقد ذكر الله تعالى ابن السبيل ضمن الأصناف التي تستحق الإحسان، في العديد من آيات القرآن الكريم، وفي هذا تنبيه إلى ما ينبغي أن يكون بين المسلمين من تعاطف وتواد وتعاون، وإن اختلفت أوطانهم.

والسائلين: جمع سائل، وهو الطالب للإحسان والمعروف. ويحمل حاله على أنه في حاجة إلى المعاونة ؛ لأن السؤال علامة الحاجة غالبًا.

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه. كتاب الزكاة. باب: المسكين الذي لا يجد غِنى، ولا يُفطَنُ له فيُتَصَدَّقُ عليه. حديث رقم: (١٠١/١٠٣٩) ٧١٩/٢.

(٢) سورة البقرة: جزء آية: ٢٧٣.

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه. كتاب الزكاة. باب: المسكين الذي لا يجد غِني، ولا يُفَطَنُ له فيُتصَدَّق عليه. حديث رقم: (١٠٢/١٠٣٩) ٧١٩/٢.

والرقاب: المراد الأساري والأرقاء. وقوله تعالى: ﴿ **وَفِي الرِّقَابِ**﴾ متعلق بـ ﴿ **آتَى** ﴾ أي آتى المال على حبه في تخليص الأسرى من أيدي العدو بفدائهم، وتخليص الأرقاء بشرائهم وإعتاقهم.

وهذه الأصناف الستة التي ذُكرت في الآية الكريمة، في قوله تعالى: ﴿... **وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ**... ﴾ [(١)]، ليس المقصود من ذكرها الاستيعاب والحصر، ولكنها ذُكرت كأمثلة، وخُصت بالذكر لأنها أحوج من غيرها إلى العون والمساعدة. فمن المعلوم أن القرآن الكريم عني عناية كبرى بجميع أصناف المحتاجين، من خلال الآيات التي تحث على الإنفاق، وبذل العون في مساعدتهم، والإحسان إليهم [(٢)].

كما أن هذا الإيتاء الذي جعله الله تعالى من كمال البر، في قوله تعالى: ﴿..**وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ**... ﴾ هو شيء آخر غير الزكاة المفروضة، بدليل قوله تعالى بعد ذلك في الآية الكريمة: ﴿... **وَآتَى الزَّكَاةَ**... ﴾ [(٣)].

وعلى هذا، فإن الغنى الذي يكتفي بدفع الزكاة، ولا يمد يد العون والمساعدة، لسد حاجة المحتاجين، وتفريج كرب المكروبين، ليس على البر الذي يريده الله تعالى من عباده المتقين [(٤)].

---

(١) سورة البقرة: جزء آية: ١٧٧.

(٢) التفسير الوسيط للقرآن الكريم. تأليف: د. محمد سيد طنطاوي ٣٦٣/١، ٣٦٤ (بتصرف).

(٣) يُراجع: أحكام القرآن. تأليف: أحمد بن على أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي. تحقيق: محمد صادق القمحاوي ١/ ١٦٢، الناشر: دار إحياء التراث العرب بيروت. تاريخ الطبعة ١٤٠٥هـ، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) ٢/ ٢٤٢.

(٤) التفسير الوسيط للقرآن الكريم. تأليف: د. محمد سيد طنطاوي ١/ ٣٦٤ (بتصرف).

ففى ذكر الزكاة المفروضة بعد ذكر إيتاء المال على حبه، تنبيه على أن هذا الإيتاء شيء آخر غير الزكاة، وتنبيه على شأن هذا الإيتاء الذي بتحقيقه يحقق الإنسان أهم خصال البِر التي ربط الله تعالى الحصول على البِر، بتحقيقها.

وهذا الإيتاء لهذه الأصناف المذكورة في الآية الكريمة، وغيرهم ممن هم في حاجة إلى العون والمساعدة ؛ "لا يتقيد بزمن معين، ولا بامتلاك نصاب محدود من المال، ولا بتقدير المال المبذول بمقدار معين كالزكاة الواجبة، بل هو موكول إلى حال المعطي " (١).

وقد ذُكرت هذه الخصلة من خصال البِر ﴿ **وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ** ﴾ أول خصلة بعد الإيمان ؛ لأنها أقوى الخصال دلالة على قوة الإيمان (٢).

ثالثًا: إقامة الصلاة:

إقامة الصلاة، ثالث خصال البر التي ذكرتها الآية الكريمة، في قوله تعالى: ﴿... **وَأَقَامَ الصَّلاةَ**... ﴾ (٣).

وإقامة الصلاة: أي أداؤها وإتمامها والمحافظة عليها، مع الخشوع فيها، الذي يشمل التواضع والخوف والتذلل واستحضار القلب، وتدبر معاني التلاوة والأذكار، واستذكار واستشعار عظمة الإله المعبود.

---

(١) تفسير المراغي ٢/ ٥٧.

(٢) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) تأليف: محمد رشيد بن علي رضا ابن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا على خليفة القلموني الحسيني ٢/ ٩٣، ٩٤ (بتصرف). الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب. سنة النشر: ١٩٩٠م.

(٣) سورة البقرة: جزء آية: ١٧٧.

ومع أن الصلاة علاقة بين العبد وربه، لكن إذا أُديت على الوجه الذي شرعه الله تعالى، بخشوعها وإتمام أركانها وشروطها وواجباتها وسننها وأدابها ؛ أثمرت أثارها الطيبة التي تحقق للإنسان الراحة والطمأنينة القلبية، كما تحقق قيمًا أخلاقية عظمى، فتهذب النفس وتعودها مكارم الأخلاق، وتبعدها عن الرذائل.حيث تمنع صاحبها فعل الفواحش، وتكفه عن المنكرات، كما قال تعالى: ﴿... **وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ...** ﴾ (١) ؛ كما أن أداءها في الجماعة يحقق إحياء روح الأخوة الإسلامية، والالتزام بوقتها يغرس في النفس الحرص على الوقت والدقة في المواعيد، ونحو ذلك من الصفات الخلقية الحميدة (٢).

هذا، والعلاقة بين إقامة الصلاة، وبين سائر خصال البِر واضحة، من خلال قوله تعالى: ﴿... **إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ...** ﴾ (٣)، وكذلك من خلال قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا * إِلا الْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ** ﴾ (٤). فالمحافظة على الصلاة، هي التي تحفظ الإنسان من الهلع والجزع " فلا يكون هلوعًا جزوعًا إذا مسه الضرّ، ولا يضعف أمام ما يلقى من الشدائد. كما لا يكون بخيلاً

(١) سورة العنكبوت: جزء آية: ٤٥.

(٢) يراجع: التفسير المنير ٢/٩٨، ٩٩، المنهج الأخلاقي وحقوق الإنسان في القرآن الكريم. إعداد: د. يحيى بن محمد حسن زمزمي ص: ١١، تاريخ الطبعة: ١٤٢٤هـ.

(٣) سورة العنكبوت: جزء آية: ٤٥.

(٤) سورة المعارج: الآيات: ١٩ ٢٣.

منوعًا إذا ناله الخير، ولا يبالي بما ينفق من فضل الله ابتغاء مرضاته تعالى "[1].

كل هذا يتأتى بالصلاة، لما فيها من الاستعانة بالله تعالى، وتوجه القلب إليه، والاستغراق في ذكره سبحانه ودعائه ومناجاته، واستشعار المسلم في ركوعه وسجوده عظمة الله تعالى وسلطانه الأعلى والأكبر من كل كبير، فيطمئن قلبه ويهدأ ولا يخشى غير الله تعالى الذي إليه ترجع الأمور، فيكن همه الأكبر في كل عمل يعمله إرضاء الله تعالى أولاً ؛ وبذلك يقوى على تحمل كل ما يواجهه من صعاب.

وهذا سر الاستعانة بالصلاة مع الصبر، التي أرشدنا الله تعالى إليها ؛ في جميع المقاصد والأمور ؛ فقال عز وجل: ﴿ **وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ...**﴾[2]، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ...** ﴾[3].

ومن الجدير بالذكر، أن هذه الخصلة من خصال البِر لا تتحقق بمجرد أداء صورة الصلاة بأقوالها وأفعالها فحسب، دون حضور القلب وخشوعه بين يدي الله تعالى، فالعبرة ليست بأداء ظاهر العبادة فقط، وقد بدأت الآية الكريمة حديثها عن البِر، بنفي أن يكون ذلك من البر أصلاً.

إن الصلاة التي يتحقق بها البر، هي التي تظهر آثارها الطيبة في جميع أفعال المسلم، وفي جميع أحواله. وهي الصلاة التي يحقق فيها المصلي حضور

(١) تفسير المراغي ٢/ ٥٧ (بتصرف).
(٢) سورة البقرة: جزء آية: ٤٥.
(٣) سورة البقرة: جزء آية: ١٥٣.

القلب، والخشوع لله تعالى. ولذا، قال تعالى: ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ** ﴾ (١).

رابعًا: إيتاء الزكاة:

إيتاء الزكاة، رابع خصال البِر التي ذُكرت في الآية الكريمة، في قوله تعالى: ﴿... **وَآتَى الزَّكَاةَ...** ﴾ (٢).

وإيتاء الزكاة: أي إعطاء الزكاة المفروضة لمستحقيها المذكورين في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾(٣).

ويُلاحظ أنه قلما تذكر الصلاة في القرآن الكريم، إلا وهي مقترنة بالزكاة ؛ لأن الصلاة تهذب الروح، والزكاة تطهر المال، كما قال تعالى: ﴿**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا..**﴾ (٤) (٥).

فالزكاة طهارة لنفس الغني من الشُح والبخل، وطهارة لنفس الفقير من الحسد والحقد.

---

(١) سورة المؤمنون: الآيات: ١، ٢.
(٢) سورة البقرة: جزء آية: ١٧٧.
(٣) سورة التوبة: آية: ٦٠.
(٤) سورة التوبة: جزء آية: ١٠٣.
(٥) التفسير المنير ٢/ ٩٩.

كما أنها نماء للمال بالبركة والزيادة، ونماء للنفس بمحاسن الأخلاق وحميد الصفات. إضافة إلى ما فيها من تطهير للمجتمع، وحفظ لكيانه، بالتضامن والتكافل بين أفراده.

من هنا كانت الزكاة أحد خصال البِر المذكورة في الآية الكريمة، كما أنها أحد أسباب فلاح المؤمنين فقد قال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (١) ثم ذكر سبحانه وتعالى من أسباب فلاحهم: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴾ (٢).

هذا، وقد ذكرت الآية الكريمة الجامعة لخصال البر، من العبادات: الصلاة، والزكاة ؛ لأنهما أُمّا العبادات البدنية والمالية، فهما أصل سائر الطاعات، وهما العيار على غيرهما. ومن شأنهما استجرار سائر العبادات واستتباعها. فمن اعتنى بهما حق العناية، جرتاه إلى ما وراءَهما. وبذلك ذكرت الآية الكريمة من العبادات، ما هو كالعنوان لسائر العبادات، والذي إذا وجد لم تتوقف أخواته أن تقترن به، مع ما في ذلك من الإفصاح عن فضل هاتين العبادتين. الصلاة التي هي حق الله عز وجل، وبعدها الزكاة التي هي نفع متعد إلى الفقراء والمحتاجين، وهي أشرف الأفعال المتعلقة بالمخلوقين. لهذا أيضًا، كثيرًا ما يقرن بينهما في القرآن الكريم (٣).

خامسًا: الوفاء بالعهد:

---

(١) سورة المؤمنون: آية:١.

(٢) سورة المؤمنون: آية: ٤.

(٣) يراجع: الكشاف ١/ ٤٧، والمحرر الوجيز ١/ ٣٧٣، تفسير الرازي ٢/ ٢٦٩، تفسير القرطبي ٣/ ٣٦٢، تفسير ابن كثير ٤/ ٩٨، فتح القدير ٤/ ٣٢٠، التحرير والتنوير ٢٢/ ١٣.

الوفاء بالعهد خامس خصال البِر التي ذكرتها الآية الكريمة، في قوله تعالى: ﴿... **وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا...** ﴾ (١).

والعهد: عبارة عما يلتزم به المرء لآخر وهو بعمومه يشمل ما عاهد المؤمنون عليه الله بإيمانهم من السمع والطاعة والإذعان لكل ما جاء به دينه.

ويُذكر العهد في القرآن والسنة كثيرًا ويُراد به في الغالب ما يعاهد به الناس بعضهم بعضًا عليه.

ويشترط في وجوب الوفاء بالعهد: ألا يكون في معصية. وفي معنى العهود: العقود، فقد أمرنا الله تعالى بالوفاء بها، قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ...** ﴾ (٢).

فيجب على المسلم أن يلتزم الوفاء بما يتعاقد عليه مع الناس ؛ ما لم يكن مخالفًا لأمر الله تعالى ورسوله ﷺ.

ولا يتحقق البِر في الإيفاء، إلا إذا كان المرء يوفى من نفسه، دون خوف عقوبة حاكم، في حالة عدم الإيفاء، أو خوف أي جزاء ولو من غير الحكام. فمن أوفى خوفًا من إهانة تُصيبه، أو ذم يلحق به، أو أي ضرر يلحق به جزاء عدم الإيفاء، فهو غير بار.

ولذا، ذُكرت هذه الخصلة من خصال البِر بصيغة الوصف.

فقد ذُكرت خصال البِر السابقة بصيغة الفعل في قوله تعالى: ﴿...**آمَنَ بِاللَّهِ...** ﴾ (٣)، ﴿... **وَآتَى الْمَالَ...** ﴾ (١)، ﴿... **وَأَقَامَ الصَّلاةَ...**﴾(٢)، ﴿... **وَآتَى الزَّكَاةَ...** ﴾ (٣).

---

(١) سورة البقرة: جزء آية: ١٧٧.

(٢) سورة المائدة: جزء آية: ١.

(٣) سورة البقرة: جزء آية: ١٧٧.

وذُكرت هذه الخصلة والتي بعدها بصيغة الوصف: ﴿... **وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ...**﴾ [٤]، ﴿... **وَالصَّابِرِينَ...** ﴾ [٥] ؛ لأن الخصال السابقة أعمال، والأعمال أفعال.

وهذه الخصلة والتي بعدها أخلاق، والأخلاق صفات. فذُكرت الأعمال بصيغة الفعل، والأخلاق بصيغة الوصف. وفي هذا تنبيه على أن من أوفى وصبر تكلفًا لا يكون بارًا حتى يصير الوفاء والصبر من أخلاقه.

وقد أشارت الآية الكريمة إلى أن ما ذُكر من الأعمال السابقة، هو ما يُعين على التخلق بهذه الأخلاق ؛ حيث تقدم ذكر الأعمال على الأخلاق ؛ لأن الأعمال هي التي تطبع الأخلاق في النفوس [٦].

ولتحقيق البِر في الوفاء بالعهد، على المرء أن يكون عازمًا على الوفاء بالعهد، وقت حصول العهد، أي في نفس الوقت الذي يلزم فيه نفسه بعهد من العهود، فلا يعاهد وفي نيته عدم الوفاء، ولا يعاهد غير مبالٍ بالوفاء ؛ ولذا ذُكر الوفاء بالعهد في هذه الآية الكريمة الجامعة لخصال البِر، مقيدًا بالظرف، فقال تعالى: ﴿... **وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا...** ﴾ [٧].

فقيد بالظرف ﴿**إِذَا عَاهَدُوا** ﴾ أي وقت حصول العهد. وفي ذلك أيضًا تنبيه إلى وجوب الاحتياط عند الالتزام بالعهد، بحيث لا يعاهد الإنسان إلا إذا كان

---

(١) سورة البقرة: جزء آية: ١٧٧.

(٢) سورة البقرة: جزء آية: ١٧٧.

(٣) سورة البقرة: جزء آية: ١٧٧.

(٤) سورة البقرة: جزء آية: ١٧٧.

(٥) سورة البقرة: جزء آية: ١٧٧.

(٦) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) تأليف: محمد رشيد رضا ٢/ ٩٧ (بتصرف).

(٧) سورة البقرة: جزء آية: ١٧٧.

واثقًا من حاله أنه يستطيع الوفاء. فإن كان لا يثق من حاله إنه يستطيع الوفاء، فلا يعاهد [١].

وقد جاء الأمر بوفاء العهد مقيدًا بالظرف أيضًا، في قوله تعالى: ﴿ **وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ...** ﴾ [٢]. تنبيهًا على أهمية هذا الأمر فإن الإيفاء بالعهود والعقود من أهم الأوامر التي أمر الله تعالى بها، لحفظ نظام المعيشة والعمران [٣].

ذلك أن التساهل في الوفاء بالعهود فيه ضياع للثقة والأمانة بين الناس، وضياع للحقوق فيما بينهم، فتفسد بذلك العلاقات والمعاملات، ويختل بذلك نظام المعيشة، ويتخلف نظام العمران. ومن هنا كان الوفاء بالعهد فيه حفظ لكيان المجتمع كله.

وبهذه الخصلة مع غيرها من خصال البِر التي ذكرتها الآية الكريمة، تقرر الآية حقيقة هامة، وهي أن حقيقة البِر تتمثل في كل طاعة تصل الفرد بغيره من أفراد مجتمعه، بحيث يتعدى نفع الفرد وخيره إلى المجتمع، ولا يقتصر نفعه وخيره على نفسه فقط.

هذا، وإن الوفاء بالعهد مظهر من مظاهر الصدق ؛ الصدق مع النفس، والصدق مع الناس. وقبل ذلك: الصدق مع الله تعالى. لذا، عَدَّه الله تعالى خصلة من خصال البِر، بل وذكره أول صفات الأبرار التي بها صاروا أبرارًا، واستحقوا ما أُعد للأبرار من النعيم، في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا * يُوفُونَ**

(١) التحرير والتنوير ٢/ ١٣١(بتصرف).
(٢) سورة النحل: جزء آية: ٩١.
(٣) تفسير المنار ٢/ ٩٧.

بِالنَّـذْر... ﴾ [1]. والنذر صورة من صور العهد، فهو عهد من الناذر مع الله تعالى.

(١) سورة الإنسان: الآيات: ٥، ٦، وجزء آية: ٧.

سادسًا: الصبر:

الصبر سادس خصال البِر التي ذكرتها الآية الكريمة، في قوله تعالى: ﴿..وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ.. ﴾ (١).

قوله تعالى: ﴿ فِي الْبَأْسَاءِ ﴾، أي: الشدة والفقر، ﴿ وَالضَّرَّاءِ ﴾: المرض والزَّمانة، ﴿ وَحِينَ الْبَأْسِ ﴾، أي: القتال والحرب (٢).

والصبر يُحمد في هذه المواطن وفي غيرها. كما أنه مطلوب في جميع الأحوال، وليس في هذه الأحوال فقط. ولكن خُصت هذه الثلاث بالذكر؛ لأنها أبرز المواقف التي يظهر فيها صبر الصابرين، كما يظهر فيها هلع الهالعين وجزع الجازعين، فيتميز فيها أصحاب النفوس القوية المطمئنة من غيرهم. ومَن صبر في هذه الأحوال، كان في غيرها أصبر ؛ لما في احتمالها من المشقة على النفس. فإن الفقر إذا اشتدت وطأته ضاق به الصدر، والضر إذا برح بالبدن يضعف الأخلاق والهمم، حتى لا يكاد المرءُ يحتمل ما كان يُسر به في حال الصحة. وفي الحرب ؛ يتعرض المرءُ للهلاك بخوض غَمَرَات المنية، وهذه الحالة

(١) سورة البقرة: جزء آية: ١٧٧.

(٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي). تأليف: محي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي. تحقيق: عبد الرزاق المهدي ١/ ٢٠٦، الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت. الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ، زاد المسير في علم التفسير ١/ ١٣٦، البحر المحيط ٢/ ١٤٠، تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) تأليف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البَصري ثم الدمشقي. تحقيق: محمد حسين شمس الدين ١/ ٣٥٧، الناشر: دار الكتب العلمية. منشورات محمد علي بيضون بيروت. الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

أشد الحالات التي يُطلب فيها الصبر، لذا عَدَّ الرسول ﷺ الفرار من الزحف، من أكبر الكبائر، كما ورد في الأحاديث الصحيحة.

وقد ذكرت الآية الكريمة هذه الأحوال الثلاث التي يُطلب فيها الصبر: ﴿...**الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ**... ﴾ [1] على وجه الترقي من الشديد إلى الأشد، فذكر أولاً الصبر على الفقر، ثم الصبر على المرض وهو أشد من الفقر، ثم الصبر على القتال وهو أشد من الفقر والمرض [2].

وليس الصبر هو الخضوع والاستكانة والاستسلام. وإنما الصبر ضبط النفس عن الهلع والجزع، والاستعانة بالله تعالى على تحمل الشدائد والتغلب على الصِعاب، والتحلي بالثبات والعزم وقوة الإرادة، مع الثقة بحسن عاقبة الصبر.

والصبر ضربان:

أحدهما: بدني، كتحمل المشاق بالبدن.

وهو: إما بالفعل، كالصبر على الأعمال الشاقة، سواء من العبادات، أو غيرها من الأعمال التي تتطلبها الحياة، ويكون الصبر على هذه الأعمال محمودًا إذا وافقت الشرع.

وإما بالاحتمال، كالصبر على المرض الشديد.

الثاني: الصبر النفسي عن مشتهيات الطبع ومقتضيات الهوى.

ثم هذا النوع إن كان صبرًا على شهوة البطن والفرج سمي عفة. وإن كان على احتمال مكروه، اختلفت أساميه عند الناس باختلاف المكروه الذي غلب عليه الصبر، فإن كان في مصيبة اقتصر على اسم الصبر، وتضاده حالة تسمى الجزع والهلع. وإن كان في احتمال الغنى سمي ضبط النفس، وتضاده حالة

---

(١) سورة البقرة: جزء آية: ١٧٧.

(٢) يراجع: البحر المحيط ٢/ ١٤٠، ١٤١، تفسير المنار ٢/ ٩٨، تفسير المراغي ٢/ ٥٩، التفسير الوسيط للقرآن الكريم ١/ ٣٦٦.

تسمى البطر. وإن كان في حرب ومقاتلة سمي شجاعة، ويضاده الجبن. وإن كان في كظم الغيظ والغضب سمي حلمًا، ويضاده التذمر. وإن كان في نائبة من نوائب الزمان مضجرة، سمي سعة الصدر، ويضاده الضجر والتبرم وضيق الصدر. وإن كان في إخفاء كلام سمي كتمان السر، وسمي صاحبه كتومًا. وإن كان عن فضول العيش سمى زهدًا، ويضاده الحرص. وإن كان صبرًا على قدر يسير من الحظوظ سمي قناعة، ويضاده الشره، ومن هنا كان الصبر جامعًا لأكثر أخلاق الإيمان. وقد جمع الله تعالى أقسام الصبر هذه، وسمي الكل صبرًا، فقال تعالى: ﴿... **وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ**...﴾. فهذه أقسام الصبر باختلاف متعلقاتها [(١)].

قال الراغب: استوعب قوله تعالى: ﴿ **وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ** ﴾ أنواع الصبر ؛ لأنه إما أن يكون فيما يحتاج إليه من القوت فلا يناله، وهو البأساء. أو فيما ينال جسمه من ألم وسقم، وهو الضراء. أو في مدافعة مؤذية له، وهو البأس [(٢)].

من ذلك يتضح أن الصبر الذي عدته الآية الكريمة خصلة من خصال البِر، وأصلاً من أصوله، هو ما كان جامعًا للصبر على ما يتعلق بالبدن، والصبر على ما يتعلق بالنفس. ذلك أن البدن قد يقوى على تحمل ما لا تتحمله النفس، والعكس أيضًا، حيث قد تقوى النفس على تحمل ما لا يتحمله البدن. فبين الله

(١) إحياء علوم الدين تأليف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي ٦٦/٤، ٦٧. الناشر: دار المعرفة بيروت.

(٢) تفسير الراغب الأصفهاني. تأليف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني. تحقيق: د. محمد عبد العزيز بسيوني ٣٧٨/١، ٣٧٩. الناشر: كلية الآداب. جامعة طنطا. الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.

تعالى في هذه الآية الجامعة لخصال البِر ؛ الموضحة لحقيقة البِر، أن الصبر الحقيق بأن يكون خصلة من خصال البِر، هو ما كان جامعًا بين صبر البدن، وصبر النفس. فكان قوله تعالى: ﴿ **وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ** ﴾ جامعًا للصبر البدني والصبر النفسي.

ومن هنا، تعدى الصبر حالة البأساء والضراء (الفقر والمرض) وهما من الصبر البدني، بـ (في) " المقتضية للظرفية الحسية" [1] ؛ لأن الصبر فيهما على ما يتعلق بالبدن؛ وهو شيء مادي محسوس.

كما أن التعبير بـ (في) في قوله تعالى: ﴿ **وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ**﴾: فيه إشارة إلى أن الصبر حالة الفقر وحالة المرض، الذي عده الله تعالى خصلة من خصال البِر ؛ هو الذي بلغت شدته على الصابر، أن صار الفقر أو المرض كالظرف الحسي له. فناسب التعبير، تعدي الصبر حالة البأساء والضراء بـ(في).

أما حالة الحرب (البأساء)، فلما كان الصبر فيها من الصبر النفسي، فقد تعدى الصبر في الآية حالة البأساء بـ (حين). "و(حين) ظرف زمان مبهم. وظرف الزمان المبهم: هو ما وقع على قدر من الزمان غير معين. كوقت وحين وزمان" [2].

والقدر من الزمان غير المعين شيء غير محسوس. والصبر حالة البأساء مما يتعلق بالنفس، وهي أمر غير محسوس.

فناسب التعبير، تعدي الصبر حالة البأساء بـ (حين).

---

(١) البحر المحيط ٢/ ١٤١.

(٢) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. تأليف: جلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي. تحقيق: عبد الحميد هنداوي ٢/ ١٣٨، الناشر: المكتبة التوفيقية مصر.

كما أن "التعبير بـ (حين) في قوله تعالى: ﴿ **وَحِينَ الْبَأْسِ** ﴾ فيه إشارة إلى أن مزية الصبر في القتال إنما تظهر حين يلتقي الجمعان، وتدور رحى الحرب ؛ لأن بعض الناس قد يكون قويًا في بدنه، وقد يحشر نفسه في زمرة الأبطال المقاتلين، ولكنه عندما يرى الأعناق تتساقط من حوله تخور قواه، ويلوذ بالفرار، أو يستسلم للعدو. وفي هذه الحالة تسلب عنه صفة الصابرين حين البأس" (١).

ولما كان الصبر من وجه مبدأ الفضائل، ومن وجه جامعًا للفضائل، إذ لا فضيلة إلا وللصبر فيها أثر بليغ، ولم يتم حسنها إلا به، غير إعرابه، تنبيهًا على هذا المقصد. حيث نصب الصابرين مع أنه معطوف على مرفوعات، تنبيهًا على خَصِيصِيةِ الصابرين ومَزِيَّةِ صفتهم التي هي الصبر (٢).

ولما كانت جميع الفضائل والطاعات، لا تتم إلا بالصبر، ختمت خصال البِر في هذه الآية الكريمة بالصبر، كما خُتمت صفات الأبرار في سورة الإنسان بالصبر أيضًا، حيث ذكر الله تعالى صفات الأبرار، وفي ختام صفاتهم، بَيَّن تعالى ما أعده لهم جزاء صبرهم، فقال تعالى: ﴿ **وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا**

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم. تأليف: د. محمد سيد طنطاوي ٣٦٦/١.

(٢) يراجع: معاني القرآن. تأليف: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي ١/ ١٠٥. الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة. مصر. الطبعة الأولى، تفسير الراغب الأصفهاني ١/ ٣٧٨، تفسير البغوي ٢٠٦/١، الكشاف ٢١٨/١، تفسير الرازي ٥/ ٢١٩، ٢٢٠، تفسير القرطبي ٢٣٩/٢، ٢٤٠، البحر المحيط ١٤٠/٢، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون. تأليف: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي. تحقيق: د. أحمد محمد الخراط ٢٥٠/٢، ٢٥١، الناشر: دار القلم. دمشق، التحرير والتنوير ١٣٢/٢ ١٣٤.

﴾ [1] ثم أخذت الآيات بعد ذلك تصور حالهم، وتُعدد مظاهر تنعمهم في تلك الجنة التي نالوها بالصبر، مع سائر خصال البِر السابق ذكرها.

(١) سورة الإنسان: آية: ١٢.

تحقيق خصال البِر

وبهذه الخصال التي اشتملت على ما يتعلق بالعقيدة، والمعاملات، والعبادات، والأخلاق، فجمعت أسس الفضائل الفردية والاجتماعية، أوضحت الآية الكريمة حقيقة البِر، وبيَّنت أن حقيقة البِر في مجموع هذه الخصال المذكورة، فمن أتى ببعض هذه الخصال وترك الباقي لم يكن محققًا للبِر. ذلك أن "عطف هذه الصفات في الآية بالواو، يدل على أن من شرائط البِر استكمالها وجمعها" (١).

فالبر في مجموع هذه الخصال التي تجمع بين صلاح الفرد ظاهرًا وباطنًا، كما تجمع بين صلاح الفرد وصلاح المجتمع. ولا يحقق الإنسان البِر ؛ إلا باستجماع هذه الخصال.

والسؤال الآن: كيف يستطيع الإنسان تحقيق ذلك ؟

والإجابة على هذا السؤال في ختام هذه الآية الكريمة الجامعة لخصال البر، حيث خُتمت هذه الآية الكريمة، بعد ذكر خصال البِر، بقول الحق تبارك وتعالى:﴿... **أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ** ﴾ (٢).

---

(١) يراجع: الوسيط في تفسير القرآن المجيد تأليف: أبو الحسن على بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري، الشافعي. تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ على محمد معوض، د. أحمد محمد صيرة، د. أحمد عبد الغني الجمل، د.عبد الرحمن عويس تقديم: د. عبد الحي الفرماوي ١/ ٢٦٣، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت. لبنان. الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ١٩٩٤م، تفسير الرازي ٥/ ٢٢٠، البحر المحيط ٢/ ١٤١، محاسن التأويل. تأليف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي. تحقيق: محمد باسل عيون السود ٤٨٥/١، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت. الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

(٢) سورة البقرة: جزء آية: ١٧٧.

فأُشير بـ ﴿ **أُولَئِكَ** ﴾ إلى مَنْ جمعوا تلك الأوصاف، من الاتصاف بالإيمان وما بعده، إلى آخر الخصال المذكورة في الآية. والمعنى: فمن فعل هذه الأشياء، فهم الذين صدقوا، وهم المتقون (١).

ومعنى ذلك، أن البِر بجميع ما ذُكر من خصال يتحقق بالصدق والتقوى.

والصدق هنا يشمل الصدق في الأقوال، وهو مقابل الكذب، والمعنى: أن أهل هذه الصفات هم الذين طابقت أقوالهم ما انطوت عليه قلوبهم من الإيمان. والصدق في الإخبار فإذا أخبروا بشيء كان صدقًا لا يتطرق إليه الكذب.

ويشمل أيضًا: الصدق في الأحوال، وهو مقابل الرياء. أي أن الجامعين لهذه الصفات هم الذين أخلصوا أعمالهم لله تعالى دون رياء ولا سمعة، بل قصدوا وجه الله تعالى (٢).

قال الإمام الرازي: اعلم أن لفظ الصدق قد يجري على القول والفعل والنية، فالصدق في القول: هو مجانبة الكذب. والصدق في الفعل: الإتيان به وترك الانصراف عنه قبل تمامه. والصدق في النية: إمضاء العزم، والإقامة عليه حتى يبلغ الفعل (٣). مع إخلاص العمل لله تعالى.

وقال الضحاك: ﴿ **أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا** ﴾، يعني: صدقت نياتهم فاستقامت قلوبهم بأعمالهم (٤).

---

(١) يراجع: تفسير الطبري ٣/ ٣٥٦، التفسير الوسيط للواحدي ١/ ٢٦٣، تفسير الرازي ٥/ ٢٢٠، البحر المحيط ٢/ ١٤١.

(٢) البحر المحيط ٢/ ١٤١ (بتصرف).

(٣) تفسير الرازي ٧/ ١٦٦.

(٤) بحر العلوم. تأليف: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي ١/ ١١٧.

والمتقون: من الاتقاء، وهو الحذر. ويطلق لفظ المتقي في الشرع على الإنسان الذي صان نفسه عن كل ما يغضب الله تعالى، وامتثل لأوامره ونواهيه.

والمعنى: أن الجامعين لهذه الخصال هم الذين جعلوا بينهم وبين عذاب الله وقاية من العمل الصالح، فتجنبوا المعاصي وامتثلوا الطاعات [1].

هذا، وإن ختام هذه الآية الكريمة الموضحة لحقيقة البِر في عدة خصال جامعة للخير ؛ بإخبار الحق سبحانه عمن حققوا هذه الخصال، بأنهم الذين صدقوا، وأنهم هم المتقون، يعود بنا إلى ما افتُتحت به هذه الآية الكريمة، من نفي البِر عن العمل الظاهر الذي يفتقد مطابقة الباطن ؛ لأن العمل الظاهر الذي لم يطابق الباطن، لم يتحقق فيه الصدق، وكل عمل لم يتحقق فيه الصدق لم يتحقق فيه الإخلاص، فلا خير فيه، وما لا خير فيه فليس من البِر، إنما البِر في كل عمل تحقق فيه الصدق. البِر في صدق الإنسان في جميع أموره الظاهرة والباطنة التي جمعتها هذه الآية الكريمة في عدة خصال شملت حال الإنسان ظاهرًا وباطنًا، فجمعت كل ما يحقق البِر.

فإذا حقق الإنسان الصدق في إيمانه، وفي معاملاته، وفي عبادته لله عز وجل، وفي أخلاقه، أدى به هذا الصدق إلى التقوى، حيث يتقي المعاصي ويلتزم الطاعات، فيحقق بذلك البِر.

وهذا يعود بنا أيضًا إلى معنى البِر، حيث تعددت الأقوال المذكورة في معنى البِر. ومع تعددها، وجدناها تدور حول معنى الصدق والطاعة. والطاعة هي المحققة للتقوى كما ذُكر.

---

(١) يراجع: تفسير الطبري ٣/ ٣٥٦، تفسير ابن عطية ١/ ٢٤٤، البحر المحيط ١٤٢/٢، التفسير الوسيط. للدكتور: محمد سيد طنطاوي ١/ ٣٦٦.

ومن هنا نجد الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه، يؤكد هذا المعنى، فيقول ﷺ: ((إن الصدق يهدي إلى البِر، وإن البِر يهدي إلى الجنة...)) (١).

كما جمع الحق تبارك وتعالى جميع خصال البِر، في التقوى، حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿... **وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى...**﴾ (٢).

وعَدَّ سبحانه وتعالى من صفات الأبرار، في سورة الإنسان:

﴿... **وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا** ﴾ (٣)، وذكر سبحانه ما أخبروا به عن حالهم قائلين: ﴿ **إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا**﴾(٤)، وبهذا الخوف من الآخرة، حذروا المعاصي فحققوا التقوى: ﴿ **فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ...** ﴾ (٥). وهذه الوقاية هي التقوى التي صاروا بها أبرارًا، فاستحقوا ما أُعد لهم من النعيم، كما قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ** ﴾ (٦). وقد ذكر سبحانه وتعالى مظاهر هذا النعيم مفصلة في العديد من آيات القرآن الكريم.

---

(١) جزء حديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه. كتاب الأدب. باب: قول الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ** ﴾ [سورة التوبة: (١١٩)] وما ينهي عن الكذب. حديث رقم: (٦٠٩٤) ٢٥/٨، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه. كتاب: (٤٥) البِر والصلة والآداب. باب: (٢٩) قبح الكذب وحسن الصدق وفضله. حديث رقم: (١٠٣/٢٦٠٧) ٢٠١٢/٤.

(٢) سورة البقرة: جزء آية: ١٨٩.

(٣) سورة الإنسان: جزء آية: ٧.

(٤) سورة الإنسان: آية: ١٠.

(٥) سورة الإنسان: جزء آية: ١١.

(٦) سورة الانفطار: آية: ١٣، وسورة المطففين: آية: ٢٢.

وبهذا الختام: ﴿... **أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ** ﴾ [1] ختم الله تعالى هذه الآية الكريمة التي بينت حقيقة البِر، من خلال مجموع ما ذُكر فيها من خصال، تعليمًا لكل من أراد تحقيق البِر، أن البِر يتحقق بالصدق والتقوى؛ الصدق مع الله، ومع النفس، ومع الناس، والتقوى من جميع المعاصي. بهذا يحقق الإنسان سائر خصال البِر.

ومن هنا أوصى الله تعالى عباده المؤمنين بهاتين الصفتين، فقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾ [2].

(١) سورة البقرة: جزء آية: ١٧٧.

(٢) سورة التوبة: آية: ١١٩.

العلاقة بين الإنفاق
من أحب الأموال إلى المنفِق وسائر خصال البِر

مما سبق يتضح أن الإنفاق من أحب الأموال إلى المنفق أحد خصال البِر المذكورة في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ (١).

وقد تبيَّن من الآية الكريمة أن حقيقة البِر في استكمال هذه الخصال وجمعها، فمن أتى بخصلة واحدة دون سائر الخصال لم يكن محققًا للبِر، حيث عطفت الصفات المذكورة في الآية بالواو ؛ دلالة على أن من شروط البِر، استكمالها وجمعها، وقد سبق الحديث عن ذلك.

إذن، فلم خُص الإنفاق من أحب الأموال إلى المنفق، دون سائر خصال البِر، غاية لنيل البِر في قوله تعالى: ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ...﴾(٢) ؟

وفي الإجابة على هذا السؤال، أُذكر أولاً بما جاء في التمهيد لهذا البحث، عند بيان المعنى الإجمالي للآية الكريمة، حيث جاء فيه:

أن في قوله تعالى: ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ... ﴾ "جُعل الإنفاق من نفس المال المُحَبِّ غاية لانتفاء نوال البِر، ومقتضى الغاية: أن نوال البِر لا

(١) سورة البقرة: آية: ١٧٧.
(٢) سورة آل عمران: جزء آية:٩٢.

يحصل بدونها، وهو مشعر بأن قبل الإنفاق مسافات معنوية في الطريق الموصلة إلى البِر، وتلك هي خصال البِر كلها بقيت غير مسلوكة، وأن البِر لا يحصل إلا بنهايتها، وهو الإنفاق من المحبوب، فظهر لـ(حتى) هنا موقع من البلاغة لا يخلفها فيه غيرها، لأنه لو قيل: إلا أن تنفقوا مما تحبون، لتوهم السامع أن الإنفاق من المحَب وحده يوجب نوال البِر، وفاتت الدلالة على المسافات والدرجات التي أشعرت بها (حتى) الغائية " [1].

وقد ذكر الإمام الرازي رحمه الله تعالى، حول موضوع هذا السؤال كلامًا حسنًا، حيث قال: " إن الله تعالى قال: ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ...﴾ إلى آخر الآية، فذكر في هذه الآية أكثر أعمال الخير، وسماه البِر. ثم قال في هذه الآية: ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾، والمعنى: أنكم وإن أتيتم بكل تلك الخيرات المذكورة في تلك الآية، فإنكم لا تفوزون بفضيلة البِر حتى تنفقوا مما تحبون. وهذا يدل على أن الإنسان إذا أنفق مما يحبه ؛ كان ذلك أفضل الطاعات " [2].

وعلى هذا، يكون معنى الآية: " لن تنالوا درجة الكمال من فعل البِر حتى تكونوا أبرارًا، إلا بالإنفاق المنضاف إلى سائر أعمالكم " [3].

هذا، وبالتأمل في قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ... ﴾ [4] إلى آخر الآية، مع قوله تعالى: ﴿

(١) التحرير والتنوير ٤/ ٦.
(٢) تفسير الرازي ٨/ ٢٨٨.
(٣) تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) ١/٤٧١.
(٤) سورة البقرة: جزء آية: ١٧٧.

﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ... ﴾ [1] يتضح الارتباط الوثيق، والعلاقة القوية بين الآيتين ؛ ذلك أن الإنسان لا يمكنه الإنفاق من أحب أمواله إليه، إلا إذا كان مستجمعًا لجميع الخصال المحمودة. فالعلاقة بين الإنفاق من أحب الأموال إلى المنفق وسائر خصال البِر، علاقة تلازم.

ومن الجدير بالذكر في الإجابة على هذا السؤال:

أن الإنفاق في قوله تعالى: ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ... ﴾ وفي غير ذلك من الآيات التي تتحدث عن الإنفاق وتحث عليه ؛ أعم من أن يقتصر على إنفاق النقود ؛ فإن " كل ما تُقرب به إلى الله عز وجل من عمل خير، فهو إنفاق " [2].

وإذا تأملت جميع الطاعات، وجدتها إنفاقًا مما يحب الإنسان، إما من ماله، وإما من صحته، وإما من دعته [3] وترفهه [4]، وهذه كلها محبوبات [5]. وبذلك يكون في مقدور كل إنسان الوصول إلى البر.

---

(١) سورة آل عمران: جزء آية:٩٢.

(٢) تهذيب اللغة ١٣٥/١٥، لسان العرب ٥٢/٤، تاج العروس ١٥١/١٠.

(٣) الدَّعة: السكون والهدوء، والراحة. [يراجع: المخصص. تأليف: أبو الحسن على بن إسماعيل بن سيده المرسي. تحقيق: خليل إبراهيم جفال ٣٢٣/٣، الناشر: دار إحياء التراث العربي. بيروت. الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ ١٩٩٦ م، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير. تأليف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس ٢ / ٦٥٣، الناشر: المكتبة العلمية. بيروت].

(٤) الرّفاهة: خِصْب العيش ولينه. وقد رَفُه عيشه، فهو رفيه. والتُّرفَةُ بالضم: النعمة وسعة العيش. والتُّرفَةُ أيضًا الطعام الطيب، أو الشيء الظريف تخص به صاحبك. [يراجع: كتاب العين. تأليف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي= = البصري. تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي ٤/ ٤٦، الناشر: دار ومكتبة الهلال، المخصص ٣/ ٤٥٥، تاج العروس ٥٣/٢٣].

(٥) تفسير ابن عطية ١/ ٤٧١.

من هنا جُعل الإنفاق مما يحب المنفِق، طريقًا موصلاً للبِر في قوله تعالى: ﴿ **لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ...** ﴾[1].

تعقيب:

والآن، وفي نهاية هذه الوقفة التأملية مع هذه الآية الكريمة التي تضمنت بيان الطريق إلى البِر، وبعد بيان معنى البِر، وحقيقته، وخصاله. أود أن أذكر أن للمفسرين في تفسير البِر في قوله تعالى: ﴿ **لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ...** ﴾ [2]، قولان:

القول الأول: ما به يصيرون أبرارًا، حتى يدخلوا في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيم** ﴾ [3]، فيكون المراد بالبِر: ما يحصل منهم من الأعمال المقبولة. ويدخل في ذلك الطاعة، وجميع أعمال الخير.

والقول الثاني: الثواب والجنة. ومعنى الآية على هذا القول: لن تنالوا هذه المنزلة إلا بالإنفاق على هذا الوجه [4].

والتلازم بين القولين واضح، فإن الأعمال المقبولة ؛ موصلة إلى الجنة بمشيئة الله تعالى.

بهذا أختم حديثي عن الطريق إلى البِر، في ضوء قوله تعالى: ﴿ **لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ...** ﴾ [5].

---

(١) سورة آل عمران: جزء آية:٩٢.

(٢) سورة آل عمران: جزء آية:٩٢.

(٣) سورة الانفطار: آية ١٣، وسورة المطففين: آية: ٢٢.

(٤) تفسير الرازي ٨/ ٢٨٩(بتصرف).

(٥) سورة آل عمران: جزء آية:٩٢.

راجية من الله تعالى النفع والقبول.

* * *

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والسلام على جميع الأنبياء والمرسلين، وعلى نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، ومن اقتدى بهداهم إلى يوم الدين.

وبعد

فقد تم بفضل الله تعالى وعون منه سبحانه، الانتهاء من كتابة هذا البحث. وفي هذه الخاتمة، عرض لأهم نتائجه.

. نتائج البحث:

١ . أن مفهوم البِر يتسع، ليشمل كل خير.

٢ . أن الإنفاق الموصل إلى البِر، هو الإنفاق من أحب الأموال إلى المنفق.

٣ ـ أن ارتباط الوصول إلى البِر بالإنفاق من أحب الأموال إلى المنفِق، ليس معناه أن ينفق الإنسان كل ما يحب.

٤ ـ عني القرآن الكريم بأمر الإنفاق، حيث نظمه ووضع له جملة من الآداب والضوابط، التي تحفظ إحساس وشعور المنفَق عليه.

٥ . اشتملت الآية الكريمة: ﴿ **لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ...** ﴾ [١] على أدب من آداب الإنفاق التي ينبغي للمنفِق التحلي بها، وهو أن يكون إنفاقه من طيب أمواله التي يحبها، لا من الردئ الذي تعافه نفسه وتزهد فيه.

٦ ـ من القواعد التي وضعها القرآن الكريم للإنفاق: أن المنفق لا يصل بإنفاقه إلى البِر، حتى يكون إنفاقه من أحب أمواله إليه.

---

(١) سورة آل عمران: جزء آية:٩٢.

٧ ـ أن الهدف من الأمر بالإنفاق من أحب الأموال إلى المنفِق، هو تزكية النفوس وتخليصها من الشح المانع لها من الخير.

٨ ـ بَيَّن الله تعالى حقيقة البِر في عدة خصال جامعة للخير، تدور بمجموعها حول صلاح حال الإنسان ظاهرًا وباطنًا.

٩ . ومن شروط تحقيق البِر: استكمال وجمع خصال البِر جملة.

١٠ ـ أن حقيقة البِر تجمع بين صحة العقيدة، وصدق المعاملات والعبادات، وحسن الأخلاق.

١١ ـ وإن حقيقة البِر تتمثل في كل طاعة تصل الفرد بغيره من أفراد مجتمعة، بحيث يتعدى نفع الفرد وخيره إلى المجتمع، ولا يقتصر نفعه على نفسه فقط.

١٢ ـ أن تحقيق البِر يكون بالصدق والتقوى في جميع الأعمال وفي جميع الأحوال.

١٣ . أن العمل الظاهر الذي لا ينفذ أثره إلى الباطن ولا يؤثر في السلوك، ليس من البِر. فالعبرة ليست بشكل العمل وصورته الظاهرة فقط، بل العبرة بما ينطوي عليه العمل من صدق وإخلاص، وبما يثمره في النفس من مكارم الأخلاق، وحميد الصفات.

١٤ ـ إن الإنفاق من أحب الأموال إلى المنفق دليل على قوة الإيمان، ودليل استجماع الإنسان لخصال الخير التي تطهر النفس من الشح.

١٥ ـ العلاقة بين الإنفاق من أحب الأموال إلى المنفِق وسائر خصال البِر، علاقة تلازم. فالإنسان لا يمكنه الإنفاق من أحب أمواله إليه، إلا إذا كان مستجمعًا لجميع الخصال المحمودة.

١٦ . أن الإنفاق الذي يحث عليه القرآن الكريم ويدعو إليه، أعم من أن يقتصر على إنفاق النقود، فإن كل ما تقرب به العبد إلى الله تعالى من الطاعات، فيما رزقه الله، فهو إنفاق.

١٧ . وأن جميع الطاعات إنفاقًا مما يحبه الإنسان.

١٨ . بالإنفاق مما يحب الإنسان، مع استكمال سائر خصال البِر، يحقق الإنسان البِر ويصير من الأبرار الذين وعدهم الله تعالى بالنعيم، فقال تعالى: ﴿ **إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيم** ﴾ (١).

* * *

(١) سورة الانفطار: آية ١٣، وسورة المطففين: آية: ٢٢.

فهرس المراجع والمصادر

١ . **القرآن الكريم.**

٢ . الإتقان في علوم القرآن. تأليف: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب. الطبعة الأولى ١٣٩٤ هـ . ١٩٧٤م.

٣ . أحكام القرآن. تأليف: أحمد بن على أبو بكر الرازى الجصاص الحنفى. تحقيق: محمد صادق القمحاوى. الناشر: دار إحياء التراث العربى. بيروت. تاريخ الطبعة ١٤٠٥ هـ.

٤ . إحياء علوم الدين. تأليف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالى الطوسى. الناشر: دار المعرفة. بيروت.

٥ . الأعلام. تأليف: خير الدين بن محمود بن محمد بن على بن فارس الزركلى الدمشقى. الناشر: دار العلم للملايين. الطبعة الخامسة عشر. أيار. مايو ٢٠٠٢ م.

٦ . بحر العلوم. تأليف: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندى.

٧ . البحر المحيط فى التفسير. تأليف: أبو حيان محمد بن يوسف بن على بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسى. تحقيق: صدقى محمد جميل. الناشر: دار الفكر. بيروت. تاريخ الطبعة ١٤٢٠هـ.

٨ . البرهان في علوم القرآن. تأليف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. الناشر: دار إحياء الكتب العربية. عيسى البابي الحلبي وشركائه. الطبعة الأولى ١٣٧٦ هـ . ١٩٥٧م.

٩ . بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز. تأليف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى. تحقيق: محمد على النجار. الناشر: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامى. القاهرة ١٤١٦ هـ. ١٩٩٦ م.

١٠ . تاج العروس من جواهر القاموس. تأليف: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسينى أبو الفيض الملقب بمرتضى الزبيدى. الناشر: دار الهداية.

١١ . التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد). تأليف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسى. الناشر: الدار التونسية للنشر. تونس. سنة النشر ١٩٨٤ م.

١٢ . تفسير أبى السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم). تأليف: أبو السعود العمادى محمد بن محمد بن مصطفى. الناشر: دار إحياء التراث العربى. بيروت.

١٣ . تفسير الراغب الأصفهانى. تأليف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى. تحقيق: د. محمد عبد العزيز بسيونى. الناشر: كلية الآداب. جامعة طنطا. الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ. ١٩٩٩ م.

١٤ . تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار). تأليف: محمد رشيد بن على رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا على خليفة القلمونى الحسينى. الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب. سنة النشر ١٩٩٠ م.

١٥ . تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير). تأليف: أبو الفداء إسماعيل

بن عمر بن كثير القرشى البصرى ثم الدمشقى. تحقيق: محمد حسين شمس الدين. الناشر: دار الكتب العلمية. منشورات محمد على بيضون. بيروت. الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ.

١٦. تفسير المراغى. تأليف: أحمد بن مصطفى المراغى. الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر. الطبعة الأولى ١٣٦٥ هـ. ١٩٤٦ م.

١٧. التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج. تأليف: د. وهبة بن مصطفى الزحيلى. الناشر: دار الفكر المعاصر. دمشق. الطبعة الثانية ١٤١٨ هـ.

١٨. التفسير الوسيط للقرآن الكريم. تأليف: د. محمد سيد طنطاوى. الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع. الفجالة. القاهرة. الطبعة الأولى ١٩٩٧ م.

١٩. تهذيب اللغة. تأليف: محمد بن أحمد بن الأزهرى الهروى أبو منصور. تحقيق: محمد عوض مرعب. الناشر: دار إحياء التراث العربى. بيروت. الطبعة الأولى ٢٠٠١ م.

٢٠. جامع البيان فى تأويل القرآن. تأليف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملى أبو جعفر الطبرى. تحقيق: أحمد محمد شاكر. الناشر: مؤسسة الرسالة. الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ. ٢٠٠٠ م.

٢١. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخارى). تأليف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخارى الجعفى. تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. الناشر: دار طوق النجاة. الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

٢٢ . الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبى). تأليف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر بن فرح الأنصارى الخزرجى شمس الدين القرطبى. تحقيق: أحمد البردونى، وإبراهيم أطفيش. الناشر: دار الكتب المصرية. القاهرة. الطبعة الثانية ١٣٨٤ هـ. ١٩٦٤م.

٢٣ . الدر المصون فى علوم الكتاب المكنون. تأليف: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبى. تحقيق: د. أحمد محمد الخراط. الناشر: دار القلم. دمشق.

٢٤ . دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين. تأليف: محمد على بن محمد بن علان بن إبراهيم البكرى الصديقى الشافعى. اعتنى بها: خليل مأمون شيحا. الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت. لبنان. الطبعة الرابعة ١٤٢٥ هـ. ٢٠٠٤ م.

٢٥ . زاد المسير فى علم التفسير. تأليف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد الجوزى. تحقيق: عبد الرزاق المهدى. الناشر: دار الكتاب العربى. بيروت. الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ.

٢٦ . سنن الترمذى. تأليف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك الترمذى أبو عيسى. تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقى، وإبراهيم عطوة عوض. الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى. مصر. الطبعة الثانية ١٣٩٥ هـ. ١٩٧٥ م.

٢٧ . عمدة القارى شرح صحيح البخارى. تأليف: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى. الناشر: دار إحياء التراث العربى. بيروت.

٢٨ . العين. تأليف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم

الفراهيدى البصرى. تحقيق: د. مهدى المخزومى، د. إبراهيم السامرائى. الناشر: دار ومكتبة الهلال.

٢٩. الفائق فى غريب الحديث والأثر. تأليف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشرى جار الله. تحقيق: على محمد البجاوى، محمد أبو الفضل إبراهيم. الناشر: دار المعرفة. لبنان. الطبعة الثانية.

٣٠. فتح القدير. تأليف: محمد بن على بن محمد بن عبد الله الشوكانى اليمنى. الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب. دمشق. بيروت. الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ.

٣١. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. تأليف: الإمام أبى القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشرى. ط/ دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ. ١٩٩٥ م.

٣٢. لسان العرب. تأليف: محمد بن مكرم بن على أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصارى الرويفعى الإفريقى. الناشر: دار صادر. بيروت. الطبعة الثالثة ١٤١٤ هـ.

٣٣. محاسن التأويل. تأليف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمى. تحقيق: محمد باسل عيون السود. الناشر: دار الكتب العلمية. بيروت. الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

٣٤. المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز. تأليف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسى المحاربى. تحقيق: عبد السلام عبد الشافى محمد. الناشر: دار الكتب العلمية. بيروت. الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

٣٥ . المخصص. تأليف: أبو الحسن على بن إسماعيل بن سيده المرسى. تحقيق: خليل إبراهيم جفال. الناشر: دار إحياء التراث العربى. بيروت. الطبعة الأولى ١٤١٧هـ . ١٩٩٦م.

٣٦ . مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح. تأليف: على بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروى القارى. الناشر: دار الفكر. بيروت. لبنان. الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ . ٢٠٠٢ م.

٣٧ . مسند الإمام أحمد بن حنبل. تأليف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيبانى. تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وأخرون. إشراف د. عبد الله بن عبد المحسن التركى. الناشر: مؤسسة الرسالة. الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ . ٢٠٠١م.

٣٨ . المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ. تأليف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيرى النيسابورى. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقى. الناشر: دار إحياء التراث العربى. بيروت.

٣٩ . المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير. تأليف: أحمد بن محمد بن على الفيومى ثم الحموى، أبو العباس. الناشر: المكتبة العلمية. بيروت.

٤٠ . معالم التنزيل فى تفسير القرآن (تفسير البغوى). تأليف: محيى السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوى الشافعى. تحقيق: عبد الرزاق المهدى. الناشر: دار إحياء التراث العربى. بيروت. الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ.

٤١ . معانى القرآن. تأليف: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمى الفراء. تحقيق: أحمد يوسف النجاتى، محمد على النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبى. الناشر: دار المصرية للتأليف

والترجمة. مصر. الطبعة الأولى.

٤٢. معجم مقاييس اللغة. تأليف: أحمد بن فارس بن زكريا القزوينى الرازى أبو الحسين. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. الناشر: دار الفكر. عام النشر ١٣٩٩هـ. ١٩٧٩م.

٤٣. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير). تأليف: أبو عبد الله محمد بن عمر ابن الحسن بن الحسين التيمى الرازى الملقب بفخر الدين الرازى خطيب الرى. الناشر: دار إحياء التراث العربى. بيروت. الطبعة الثالثة ١٤٢٠ هـ.

٤٤. المفردات فى غريب القرآن. تأليف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى. تحقيق: صفوان عدنان الداودى. الناشر: دار القلم، الدار الشامية. دمشق. بيروت. الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ.

٤٥. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (شرح النووى على مسلم). تأليف: أبو زكريا محيى الدين يحيى بن شرف النووى. الناشر: دار إحياء التراث العربى. بيروت. الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ.

٤٦. المنهج الأخلاقى وحقوق الإنسان فى القرآن الكريم. إعداد: د.يحيى بن محمد حسن زمزمى. تاريخ الطبعة: ١٤٢٤ هـ.

٤٧. النحو الوافي. تأليف: عباس حسن. الناشر: دار المعارف. الطبعة الخامسة عشرة.

٤٨. النهاية فى غريب الحديث والأثر. تأليف: مجد الدين أبوالسعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيبانى الجزرى ابن الأثير. تحقيق: طاهر أحمد الزاوى، محمود محمد الطناحى. الناشر: المكتبة العلمية. بيروت ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م.

٤٩ . همع الهوامع فى شرح جمع الجوامع. تأليف: جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى. تحقيق: عبد الحميد هنداوى. الناشر: المكتبة التوفيقية. مصر.

٥٠ . الوسيط فى تفسير القرآن المجيد. تأليف: أبو الحسن على بن أحمد بن محمد بن على الواحدى النيسابورى، الشافعى. تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ على محمد معوض، د. أحمد محمد صيرة، د. أحمد عبد الغنى الجمل، د. عبد الرحمن عويس. تقديم: د. عبد الحى الفرماوى. الناشر: دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ. ١٩٩٤ م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
ـ المقدمة	٦٣٣
ـ التمهيد	٦٣٨
ـ معنى البر فى اللغة.....	٦٤٧
. معنى البر فى الاصطلاح.....	٦٤٩
. خصال البر (حقيقة البر)	٦٥١
. الإيمان.....	٦٥٥
. إعطاء المال مع حبه.....	٦٥٨
. إقامة الصلاة.....	٦٦٧
. إيتاء الزكاة.....	٦٦٩
. الوفاء بالعهد.....	٦٧١
. الصبر.....	٦٧٥
. تحقيق خصال البر.....	٦٨١
. العلاقة بين الإنفاق من أحب الأموال إلى المنفِق، وسائر خصال البر.....	٦٨٦
. تعقيب.....	٦٨٩
. الخاتمة.....	٦٩١
. نتائج البحث.....	٦٩١
. فهرس المراجع والمصادر.....	٦٩٤
. فهرس الموضوعات.....	٧٠٢